الحق والحياة
عظات على إنجيل يوحنا

القس بسام مدني
مطبوعات ساعة الإصلاح

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

الكلمة صار جسداً

"في البدء كان الكلمة, والكلمة كان عند الله, وكان الكلمة الله."

"والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده."

الإنجيل حسب يوحنا ١: ١ و ١٤

إذ تتسارع السنوات الأخيرة من القرن العشرين وأخذ البعض يتحدثون عن القرن العشرين, لا بد لكل بشري من التأمل في مصير الإنسانية بعد كل الأهوال التي حلت بها منذ مطلع قرننا هذا. فلقد كثرت الاختراعات وتفنن الناس في الطرق المعيشية وكبرت الهوة الفاصلة بين الأثرياء والفقراء. وزد على ذلك انتشار الفوضى في الحياة الفكرية ومحاولة البعض بناء عالم جديد بدون الله واعدين الذين يسيرون في ركابهم بفردوس أرضي تنعدم فيه مشاكل ومتناقضات الحياة!

ومع انتشار النظريات الحياتية المتعددة إلا أنه من الممكن أن تلخص فحواها بأنها في أغلبيتها تصورات للواقع خيالية من أي ذكر لله الباري. وهذا أمر مؤسف للغاية لأننا نحن البشر – مهما حاولنا وجاهدنا – لا نستطيع أن نتهرب من مجابهة موضوع الله. فنحن إن لم نعترف بخالقنا القدير نرى أنفسنا وقد اخترعنا آلهة باطلة تضحي طاغية ومستبدة. بالنسبة لما كنا قد منحنا هذه الآلهة من قوة وتدبير. وليس كلامنا هذا مبنياً على اجتهاد شخصي بل ينبعث من دراستنا لكلمة الله كما وردت في الإنجيل حسب يوحنا. ففي فاتحة الإنجيل, تطرق الرسول للكلام عن موضوع جوهري يتعلق بالله وبكون الله قد كشف عن ذاته بواسطة كلمته الذي تجسد وصار إنسانا ليتمم برنامج الله الخلاصي. فالبشرية الغارقة في الظلام الروحي الدامس لبحاجة إلى كشف إلهي وخلاص إلهي. مجرد إعلان الله لذاته لا يكفي وذلك لأن الإنسان – كل إنسان – يرزح تحت عبودية الخطية والمعصية.

في البدء كان الكلمة, والكلمة كان عند الله, وكان الكلمة الله. كان هو في البدء عند الله. كل الأشياء به كونت ومن دونه لم يكن شيء مما كون. وما نستقيه من كلمات يوحنا الرسول هذه أن كلمة الله كان البدء. هذا يعني أنه في البدء عندما خلق الله السموات والأرض – كما ورد في فاتحة توراة موسى – كان الكلمة. فأزلية كلمة مؤكدة في كلمات الوحي هذه وكذلك تعدد أقانيم اللاهوت مشار إليه في هذه الكلمات والكلمة كان عند الله. وألوهية الكلمة وردت في نهاية الآية الأولى من الإنجيل: وكان الكلمة الله.

ويمكن النظر في هذه الفاتحة كأهم حقيقة وردت في الوحي الإلهي لأنها تكون أساس التفكير السليم بخصوص الله الواحد القدوس وأقنوميته الأزلية. قبل أن يوجد عالمنا هذا كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. وكل نظرية حياتية لا تأخذ عقيدة الله وأزليته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كنقطة انطلاقها هي مخطئة مبدئياً وكل ما يبنى عليها من برامج حياتية يكون مصيره الفشل الذريع.

ولذكر كلمة الله في فاتحة الإنجيل سبب هام إلا وهو كون الأقنوم الثاني في اللاهوت معبراً عن الله أو كاشفاً له. وقد تم خلق الكون بواسطة الكلمة: "كل الأشياء به كونت ومن دونه لم يكن شيء مما كون. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس, والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه."

ومع أن كلمة الله الأزلي كان عاملا منذ البدء في أمور الخليقة إلا أنه كان سيدخل حياة البشرية بصورة حميمة لم يسبق لها مثيل. وقبل حدوث ذلك أرسل الله نبياً لبني إسرائيل في مطلع القرن الأول كان اسمه يوحنا, وكان والده يدعى زكريا الكاهن واسم أمه اليصابات. أسند الله ليوحنا الملقب بالمعمدان مهمة فريدة. كانت رسالته أن يشهد للكلمة ولنوره الوضاح الذي كان سيبزغ على البشرية. عاش المعمدان شاهداً للنور لكي يؤمن الكل بواسطته. ومع أن البعض من معاصريه ظنوا انه كان المسيح المنتظر إلا أن الإنجيل أكد قائلاً: لم يكن هو النور بل ليشهد للنور.

ومن أشد الكلمات وقعاً في النص الكتابي هي هذه الكلمات التي تصف لنا موقف بني اسرائيل من المسيح: "لقد كان في العالم والعالم لم يعرفه. إلى خاصته جاء ومن كانوا خاصته لم يقبلوه."

لكن الله لا يعرف الفشل وبرنامجه الخلاصي سينجح بالرغم من عداوة الناس وغرقهم في ظلام الخطية الموت. فمع أن العديدين من معاصري المسيح لم يقبلوه – وقد حدث هذا على مر العصور وفي شتى الأقاليم والأمصار – إلا أن الكثيرين رحبوا به وقبلوه كموفد الله. وكما ورد رآني فقد رأى الآب؛ فكيف تقول أنت: أرنا الآب؟ ألا تؤمن أني في الآب وأن الآب فيّ؟ الكلام الذي أكلمكم به لا أتكلم به من نفسي ولكن الآب الحال في هو يعمل أعماله؟ صدقوني أني أنا في الآب والآب فيّ؛ وإلا فصدقوني من أجل الأعمال نفسها.

يا لها من كلمات رائعة! رغبة فيلبس بأن يكشف الله عن ذاته في وحي خاص كانت في محلها ولكن خطأه كمن في أنه لم ير ذلك الوحي في المسيح يسوع, كلمة الله المتجسد. من رآني فقد رأى الآب لقد سر الله بان يكشف عن ذاته في المسيح المخلص. من رفض الإيمان بهذه الحقيقة العظمى يكون قد حرم نفسه من أعظم هبة إلهية. وأن صعب على فيلبس أو أي إنسان آخر قبول كلمات المسيح هذه فلينظر إلى أعمال المسيح الباهرة والتي شهدت للملأ بأنه جاء من الله للقيام بمهمة فريدة ألا وهي انقاذ البشرية من وهدة الشر والهلاك.

 All rights reserved © 2008-2018

ونظرا لأهمية العمل الذي كان المسيح سيسنده إلى تلاميذه الأوفياء بعد تتميمه لرسالته الخلاصية, نلفت أنظارهم إلى المستقبل الباهر الذي كان ينتظرهم وهم ينشرون الأنباء السارة في مختلف بقاع العالم المتوسطي. الحق, الحق أقول لكم: إن من يؤمن بي فإن الأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها, لأني ماض إلى الآب.ومهما سألتم باسمي فإني أفعله لكي يتمجد الآب في الابن. وإن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله.

ومع صراحة كلمات المسيح ظن التلاميذ أن ذهابه عنهم من الناحية الجسدية كان سيترك فراغاً روحياً هائلاً. ولذلك كشف لهم السيد عن موضوع إرسال الله الآب للروح القدس ليمكث معهم وسائر المؤمنين والمؤمنات عبر العصور المتتالية ليقودهم في طريق الحق والحياة:

إن كنتم تحبونني فإنكم تحفظون وصاياي. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليكون معكم إلى البدء, روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما انتم فتعرفونه لأنه يمكث معكم ويكون فيكم.

وتابع المسيح يسوع كلامه عن الروح القدس وعمله المنعش في جسد جماعة الإيمان قائلاً:

كلمتكم بهذه الأشياء وأنا مقيم معكم. وأما المعزي, الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي, فهو يعلمكم كل شيء. ويذكركم بجميع ما قلته لكم. السلام أستودعكم, سلامي أعطيكم, ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترتعب. قد سمعتم أني قلت لكم: أنا ذاهب ثم آتي إليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني ذاهب إلى الآب, فإن الآب أعظم مني وقد أخبرتكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون. لا أكلمكم بعد كثيراً فإن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء. إنما هذه ليعلم العالم أني أحب الآب وأني أعمل كما أوصاني الآب. قوموا ننطلق من ههنا.

صعب على تلاميذ المسيح أن يتصوروا حياة بدون حضوره فغمرتهم موجة هائلة من الغم. لكن السيد له المجد لفت أنظارهم إلى أنه لم يكن سيتركهم يتامى بل كان الروح القدس سيحل على جماعة الإيمان فيضحي المسيح حاضراً مع المؤمنين والمؤمنات. وبينما انحصرت مناداة المسيح بالإنجيل في تخوم الأرض المقدسة كان تلاميذه الأوفياء, بعد حلول الروح القدس عليهم,سيندفعون برسالة الإنجيل الخلاصية إلى سائر العالم داعين الناس أجمعين للتوبة والإيمان بمن جاء من الله لإنقاذ البشرية من الخطية والدمار.

وبغض النظر عن ضعف رسل المسيح وقلة شأنهم بالنسبة إلى بطش وجبروت الإمبراطورية الرومانية التي كانت مسيطرة على العالم القديم, انتصرت رسالة الإنجيل

 All rights reserved © 2008-2018

التحريرية لأن الروح القدس كان يعمل بقوة على إنقاذ الناس من عبوديتهم للأصنام جاعلاً منهم مؤمنين بالله وبمسيحه المخلّص.

ولم يقتصر انتشار الإنجيل على تلك العصور القديمة بل لا يزال الخبر المفرح يمتد في كل إقليم وبلد. والمنادون بكلمة الإنجيل لا يتكلمون على حكمتهم أو بلاغتهم بل على الروح القدس, الرب المحيي الذي أوحى بالكتاب المقدس والذي ينير عقول وأفئدة الناس ليقبلوا انجيل خلاصهم. فالمسيح يسوع لا يزال هو الطريق والحق والحياة, ولا يأتي أحد إلى الآب ولن ينعم أحد بالنعيم إلا بواسطة المسيح, آميـن.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

طريق الله وطريق البشر

وغمس اللقمة وناولها ليهوذا سمعان الإسخريوطي. وبعد اللقمة دخل فيه الشيطان. فلما خرج قال يسوع: الآن تمجّد ابن الإنسان، وتمجّد الله فيه.

الإنجيل حسب يوحنا ١٣: ٢٦ و ٢٧ و ٣١

ينظر البعض من معاصرينا إلى الحياة من منظور الاقتصاد ويعتقدون بأن الحل الوحيد لمشكلاتنا الحياتية يكمن في تطبيق نظريات معيّنة ابتكرها علماء الاقتصاد. ويذهب آخرون إلى القول بأن الإنسان يحتاج إلى الحرية المطلقة التي تساعده على تسخير جميع طاقاته في سبيل بناء مجتمع أفضل. ومع تعدّد هكذا نظريات حياتية، إلا أنه بإمكاننا تبويبها تحت هذا العنوان: نسيان الله أو تناسيه والعمل على بناء حضارة عالمية لا دينية تكون أساساً لمدنيّة القرن الحادي والعشرين.

ومن المؤسف جداً أن الإنسان المعاصر لا يرغب في التأمل في دروس وعبر التاريخ القديم والحديث والمعاصر. لا تنمو حياة الإنسان ولا تزدهر إن نظرنا إليه كمجرّد مستهلك للمصنوعات الماديّة.ولا تتحسّن حياة الإنسان إن جعلنا من الحرية مفهوماً مستقلاً عن الأخلاقيات. وهل يمكننا أن نبحث في أخلاقيات مستقلّة عن أي مفهوم دينيّ ؟ وبعبارة أخرى، أهناك أخلاق بدون معتقدات دينية سليمة؟ طرق البشر التي تنسى الله تؤدي في النهاية إلى الهلاك.

وإذ لا زلنا ندرس حوادث الأسبوع الأخير من سيرة المسيح على الأرض، تلاحظ أن السيد له المجد شدّد على أهمية تطبيق منهج الله الذي اؤتمن عليه. كان المسيح قد وفد من الله وعاش في الأرض المقدسة وأخذ ينادي بالإنجيل في عامه الثلاثين. التصق به اثنا عشر رجلاً كان قد انتخبهم ليكونوا تلاميذ له. سمعوا تعاليمه وشاهدوا المعجزات والآيات التي قام بها والتي شهدت عن مرسليته السماوية وطبيعتها الفدائية. ولكنهم لم يظهروا استعدادهم لقبول تعاليمه عن العمل الفدائي الفريد الذي كان سيتمّمه بموته على الصليب وبقيامته من بين الأموات.

وفي الليلة الأخيرة من سيرته على الأرض، تكلّم المسيح عن تسليمه من قبل أحد التلاميذ فقوبل كلامه بالدهشة المطلقة. ولمّا قال يسوع هذا اضطرب بالروح وتنهّد قائلاً: الحق، الحق أقول لكم: إن واحداً منكم سيسلمني. فأخذ التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم حائرون فيمن يكون هذا الذي يتكلّم عنه.

لم يظهر التلاميذ أي استعداد لقبول حتميّة الصليب. فكلّما كان المسيح يشير إلى موته على الصليب، كان التلاميذ يعترضون عليه. وعندما ذكر المسيح أن تسليمه إلى أيدي أعدائه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان سيتم على يد تلميذ، بهتوا للغاية. فأومأ سمعان بطرس إلى يوحنا الذي كان قريباً من المسيح على مائدة العشاء بأن يسأله عن شخصيّة الخائن. فقال يوحنا للمسيح: يا سيّد من هو؟ فأجاب يسوع: هو الذي أغمس اللقمة وأناوله. وغمس اللقمة وناولها ليهوذا سمعان الإسخريوطي. وبعد اللقمة دخل فيه الشيطان. فقال له يسوع: ما تفعله فافعله عاجلاً. ولم يفهم أحد من المتكئين لماذا قال له ذلك. فقد ظن بعضهم، إذ كان الصندوق مع يهوذا، إن يسوع قال له: اشتر ما تحتاج إليه للعيد. أو أن يعطي الفقراء شيئا. فلما تناول اللقمة خرج للحال. وكان ليل.

من الصعب أن نفهم الدوافع الخفية التي جعلت يهوذا يخون المسيح. فقد كان باستطاعته أن يرتدّ عن جماعة التلاميذ عائداً إلى حياته الماضية وسائراً على طريق معاصريه اليهود. لم يكتف يهوذا بالتخلي عن المسيح بل اتصل بأعداء المخلص من رؤساء الكهنة وخبراء الشريعة الموسوية وتشاور معهم في كيفية تسليم المسيح بدون لفت أنظار الشعب. وحتى في تلك اللحظة الخيرة أعطى المسيح يهوذا الفرصة الذهبية ليرجع عن غيّه ويعود إلى صوابه عندما ناوله لقمة العشاء. كان هذا عملاً نبيلاً يقوم به صاحب العشاء للذين استضافهم وخاصة في أيام عيد الفصح. رفض الخائن بادرة المسيح فما أن تناول اللقمة حتى خرج للحال للقيام بعمله الإجرامي، وكان ليل.

فلمّا خرج قال يسوع: الآن تمجّد ابن الإنسان، وتمجّد الله فيه. وإن كان الله قد تمجّد فيه فالله أيضاً سيمجّده في ذاته ويمجّده في الحال. يا بنيّ، أنا معكم بعد زماناً يسيراً وستطلبونني وكما قلت لليهود أقول لكم أنتم أنّه حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا.

كيف تكلّم المسيح عن تمجّد ابن الإنسان (أي عن تمجّده) وهو على وشك بأن يسلّم إلى أيدي الخطاة والأثمة والمستعمرين الرومان ؟ وكان المسيح قد اتّخذ لقب ابن الإنسان للدلالة على كونه، وهو كلمة الله الأزلي، قد يجسّد وصار إنسانا وعاش بيننا نحن البشر. كيف تكلّم المسيح عن تمجّده من الله الآب وهو يسير على الرب الصليب؟ أي منطق هذا الذي يسوي بين الصليب والمشيئة الإلهية ؟ فإن سرنا على المنطق البشري المستقل عن الله ووحيه وبرنامجه الفعال لإنقاذ الإنسان من وعدة الشر، قد نجد أكثر من علّة لنفي وانكار حتمية آلام وموت المسيح. لكن الله الذي خلقنا على صورته وشبهه والذي رأى تاج الخليقة يقع في عبودية الخطية والشر، وضع برنامجه الخلاصي موضع التنفيذ. وهذا اقتضى أن يتألم المسيح ويرفض من زعماء الدين في اسرائيل ويموت على الصليب ويقوم في اليوم الثالث من بين الأموات.

ولكن لما الآلام والصليب؟ لماذا لم ينقذنا الله بفضل قوّته اللامحدودة؟ ألا ندعوه بالقدير، فلماذا لم يكن قادراً على أن يخلّصنا بدون آلام المسيح وموته على الصليب؟ علينا الذهاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى الوحي الإلهي لنصل إلى التعليل الإلهي لحتمية الصليب. كان المسيح قد وفد عالمنا وهو عليم بكل ما سيحدث له من رفض الزعماء الدينيين له وتسليمه إلى أيدي الرومان وصلبه وموته وقيامته. كان ذلك ضرورياً للتكفير عن خطايانا وآثامنا ومعاصينا.

وتكلّم المسيح عن أهمية المحبة في حياة المؤمنين والمؤمنات: إني أعطيكم وصيّة جديدة: أن يحب بعضكم بعضاً، فكما أحببتكم أنا، ليحب أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبّ بعضكم لبعض.

كانت محبة المسيح للمؤمنين محبة لا نهائية، تامة، كاملة، مطلقة، بدون حدود. كان من واجبهم الآن أن يظهروا محبتهم لبعضهم البعض. على كل منهم أن ينشد خير الآخرين، لا منفعته الذاتية. وما سمع التلاميذ وصيّة المحبّة حتى قال بطرس للمسيح: يا سيّد إلى أين تذهب؟ أجاب يسوع: حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني. ولكنك ستتبعني فيما بعد. قال له بطرس: يا سيّد، لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن. إني أبذل نفسي عنك. أجاب يسوع: أأنت تبذل نفسك عني ؟ الحق، الحق أقول لك: إنّه لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرّات.

لم يدر بطرس محدوديته ولم يقرّ بضعفه كبشريّ. ظنّ أنه كان بمقدوره أن يصاحب المسيح أو أن يشاركه في عمله الخلاصي الفريد الذي لم يكن أي بشري مدعواً للمشاركة به. لم يكن بمقدور بطرس أن يموت للتكفير عن خطايا الآخرين. لكنه كان سيتبع المسيح في النهاية بمعنى أنه كان سيستشهد في سبيل ربّه ومخلّصه ويلاقيه في ديار النعيم.

وقعت كلمات المسيح هذه على بطرس وقوع الصاعقة. أهو مزمع أن ينكر سيّده ثلاث مرات قبل صياح الديك؟! كلا، هذا غير ممكن. إنه سيبقى مع المسيح حتى النهاية ولن يسمح لأي بشري بأن يمس المخلص أو يلقي القبض عليه. هذه كانت عزيمة بطرس، التلميذ المندفع والشجاع. لكن نبوة المسيح تمت وأنكر بطرس ربّه ثم تاب عن غيه وبكى بكاء مرا. ساعدنا الله لنسير على طريقه الفعال للخلاص بقبولنا للمسيح كمخلصنا من الخطية لننعم بالحياة الأبدية فنضمن بذلك مكاننا في ديار النعيم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العمل بكلمة الله

فإن كنت وأنا السيّد والمعلّم قد غسلت أقدامكم، فيجب عليكم أنتم أيضاً أن يغسل بعضكم أقدام بعض. فإني قد أعطيتكم مثالاً لتصنعوا أنتم أيضاً كما صنعت أنا بكم.

الإنجيل حسب يوحنا ١٣: ١٤ و ١٥

ما هي الصفات التي يفتخر بها الناس ؟ يعجب الكثيرون بمن يبدي معرفته وعلمه بآخر ما توصّل إليه الإنسان من معارف علمية. وآخرون يفضّلون القوي الذي يتحكم بالآخرين. وآخرون يتعلّقون بمن أوتي الفصاحة والبلاغة في الكلام. هذه هي بعض مقاييس البشر ولكنها ليست بمقاييس الله.

فعندما نصل إلى الأسبوع الأخير من حياة السيد المسيح على الأرض نتلقّن درساً هاماً عن أهميّة التواضع وخدمة الآخرين. نقرأ ما يلي في الفصل الثالث عشر من الإنجيل حسب يوحنا:

وقبل عيد الفصح إذ كان يسوع يعلم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، وإذ كان قد أحبّ الذين في العالم، أحبّهم إلى الغاية. ففي أثناء العشاء وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطيّ أن يسلّمه، وإذ كان يسوع يعلم أنّ الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من الله خرج وإلى الله يمضي، قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وائتزر بها ثم صبّ ماء في مغسل وأخذ يغسل أقدام التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان مؤتزراً بها.

أراد السيد المسيح أن يلقنهم درساً لا ينسونه عندما غسل أقدام تلاميذه الذين كانوا بحاجة إلى تعلّم درس حيويّ ألا وهو وجوب العمل بكلمة الله وعدم الاكتفاء بالمناداة بها. تتطلّب كلمة الله من المنادين بالإنجيل أن يتّسعوا بالتواضع وأن يتفانوا في خدمة الآخرين ولا سيما الذين هم من أهل الإيمان. فمع أن تلاميذ المسيح عاشوا معه لمدة ثلاث سنين إلا أنهم أظهروا جهلاً هائلاً لمعنى الإيمان القويم عندما تشاجروا مع بعضهم البعض وهم يبحثون في موضوع: من هو الأكبر والأعظم بين التلاميذ.

غسل المسيح يسوع أقدام بعض التلاميذ ثم جاء إلى بطرس الذي كان قد بهت مما جرى حوله فما كان منه إلا وأن قال للمسيح:

أأنت يا سيّد تغسل قدميّ ؟ أجاب يسوع وقال له: أنك لا تعرف الآن ما أصنعه أنا، ولكنك ستفهمه فيما بعد. فقال له بطرس: لن تغسل قدميّ أبداً. أجابه يسوع: إن لم أغسل فليس لك نصيب معي. فقال له سمعان بطرس: يا سيّد ليس قدميّ فقط، بل يديّ ورأسي أيضاً. فقال

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

له يسوع: إن من اغتسل ليس في حاجة إلا إلى غسل قدميه إذ أنه نقي كلّه. وأنتم أنقياء ولكن ليس جميعكم. فإنه كان يعرف من يسلّمه ولذلك قال: لستم جميعكم أنقياء.

نتعلم من كلمات المسيح هذه أن غسله لأقدام التلاميذ كان عملاً رمزياً. كان التلاميذ قد آمنوا به ولم يرتدّوا عنه كما ارتدّ العديدون من معاصريه. فأظهروا بذلك محبّتهم للمسيح وتعلّقهم به. ولكنهم لم يظهروا نضوجاً روحياً عندما تخاصموا بخصوص من سيكون الأكبر والأعظم في ملكوت المسيح. نسوا أن سيّدهم كان قد أظهر التواضع المطلق عندما وفد من السماء وتجسّد بولادته من العذراء مريم وعاش عيشة الفقراء وسمح للزعماء الدينيين في القدس بأن يضطهدوه ويعاملوه كالمنقلب على الشريعة الموسوية. وما أن غسل المسيح أقدامهم حتى اختبروا غسله لقلوبهم التي كادت بأن تنسى معنى الإنجيل.

وبعد أن غسل (أي السيد المسيح) أقدامهم وأخذ ثيابه وعاد واتكأ إلى المائدة قال لهم: أتفهمون ما صنعت بكم ؟ أنتم تدعونني معلّماً وسيّداً، وحسناً تقولون، لأني كذلك. فإن كنت وأنا السيّد والمعلّم قد غسلت أقدامكم فيجب عليكم أنتم أيضاً أن يغسل بعضكم أقدام بعض. فإني قد أعطيتكم مثالاً لتصنعوا أنتم أيضاً كما صنعت أنا بكم. الحق، الحق أقول لكم: ليس عبد أعظم من سيّده ولا رسول أعظم من مرسله، إن علمتم هذا فطوبى لكم إن عملتموه.

عندما تواضع المسيح وغسل أقدام تلاميذه التي لم يكن قد تطوّع ولا صغيرهم على غسلها كما كانت تقتضي تقاليد تلك الأيام، وقام بعمل الخادم تجاه تلاميذه، لم يتخلّ عن منصبه كمعلّم ولم يتنازل عن سيادته المطلقة التي كانت له ككلمة الله المتجسّد. كان المسيح ملمّاً تماماً بشخصه وبطبيعة مهمّته الفدائية. فأضحى عمله هذا بمثابة درس لجميع الذين يدعون أنفسهم بأتباعه. لا يكفينا إذن أن نسمع تعاليمه ونسرّ بها بل علينا أن نعمل بها.

ولقد حذرنا السيد المسيح من مغبة تلك المعرفة السطحية واللاحياتية لكلمة الله عندما تكلّم عن يهوذا الخائن. كان هذا التلميذ قد سمع المسيح ينادي بالإنجيل ورآه يشفي المرضى ويقيم الموتى ويطعم الجماهير من خمسة أرغفة خبز وسمكتين. وكان يهوذا قد اؤتمن على منصب أمين الصندوق لسلك التلاميذ. لكنّه لم يكن مؤمناً بل صار من أكبر خونة التاريخ. وهكذا يجدر بنا أن نتمعّن في كلمات المسيح التحذيرية:

فإني أعلم من اخترت ولكن ليتمّ الكتاب: إن الذي يأكل خبزي قد رفع عليّ عقبه. أقول لكم هذا الآن قبل أن يكون، حتى متى كان (أي متى ظهرت خيانة يهوذا للمسيح بتسليمه لأعدائه في القدس) تؤمنون أني أنا هو.

وقد حدث في أكثر من مناسبة عبر عصور التاريخ أن البعض من الناس والذين كانوا يدّعون بأنهم من المؤمنين بالمسيح المخلّص خانوه وارتدّوا عن الإيمان وصاروا من أعدائه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الألداء. وهكذا تطلب منا كلمات المسيح التحذيرية من المؤمنين به إيماناً صادقاً وقلبياً وعاملين بكلمته الخلاصية.

وبعد أن تكلّم المسيح عن خيانة يهوذا قال: الحق، الحق أقول لكم: إن الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني. كان المسيح على وشك بأن يتمّم عمله الخلاصي والفدائي وذلك بآلامه البدليّة وموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات. وكان سيعود إلى السماء ليجلس عن يمين الله الآب. وإذ ذاك كانت ستبدأ مرحلة جديدة في مرسليّة المسيح: كان له المجد سيوفد تلاميذه للمناداة برسالة الخلاص والغفران والحرية في سائر أنحاء المعمورة ابتداء من القدس. ومن رفض مناداة رسل المسيح يكون قد رفض المسيح ومن رفض المسيح المخلّص يكون قد حرم نفسه من نعيم الله.

أيها القارئ العزيز ! لقد وقفنا على نص كتابي عام يتعلّق بغسل المسيح لأقدام تلاميذه. لا بد أننا قد تأثرنا من التواضع الذي أظهره المسيح تجاه تلاميذه في تلك الليلة الحاسمة من سيرته على الأرض. أرجو ألا تكون قد نسيت الدرس الهام الذي تركه لنا سيدنا ومخلّصنا يسوع المسيح:

إن علمتم هذا فطوبى لكم إن عملتموه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خلاص العالم

وإن كان أحد يسمع كلماتي ولا يحفظها فأنا لا أدينه، لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من رذلني ولم يقبل كلماتي فإن له من يدينه: الكلمة التي نطقت بها هي تدينه في اليوم الأخير.

الإنجيل حسب يوحنا ١٢: ٤٧ و ٤٨

أدرت مؤشر المذياع إلى إحدى المحطات الإذاعية فسمعت برنامجاً شائقاً كان عبارة عن مقابلة أجراها صحفي في الإذاعة مع طلاب وطالبات إحدى الجامعات الكبيرة في مدينة يبلغ عدد سكانها بالملايين. وكان الموضوع الذي تطرّق إليه الصحفي هو تحدّيات العصر والطرق السليمة لمجابهتها وإيجاد الحلول لمشاكل الحياة المستعصية. أنصت بكل انتباه إلى الحوار ولاحظت أن الذين شاركوا في الحوار تطرّقوا للكلام عن مواضيع اقتصادية وسياسية وتاريخية. ومما لفت انتباهي هو أن أحد الطلاب كان يردد: ليس باستطاعة الإنسان أن يغيّر نفسه أو اتجاه حياته بعد عامه العشرين. وكان هدف هذا الطالب أن يظهر كون مشكلة الإنسان الأساسية كامنة في صميم حياته وأنه من واجب الإنسان أن يغيّر أسلوب أو اتجاه حياته وأن يعيش حياة الأنانية. ولكن هيهات للإنسان أن يصل إلى هذا الهدف النبيل !

لم يقبل الجميع هكذا نظرة تشاؤمية للحياة بل انبرت إحدى الطالبات للرد على الطالب المتشائم قائلة: طبعاً يحتاج الإنسان إلى أكثر من حوافز اقتصادية أو ماليّة للقيام بواجباته كما يجب. وهكذا يجدر به أن يتحلّى بمثل عليا وأن يستنير ضميره من هكذا مثل ليجلبه تحدّيات العصر بصورة فعّالة.

تأملت بعد الانتهاء من سماعي لهذه المقابلة الإذاعية في الموضوعين الأساسيين اللذين ذكرا:

١: مقدرة أو عدم مقدرة الإنسان على تغيير نفسه بعد عامه العشرين.

٢: ضرورة التحلّي بمثل عليا وإنارة هذه المثل للضمير الإنساني لتضحي مجابهيه لتحدّيات العصر مجابهة سليمة وبنّاءة.

ومع تقديري لروح الجدّيّة والصراحة التي ظهرت في تلك المقابلة إلا أنه المني أن الحوار جرى في جوّ لم يذكر فيه اسم الله ولا وحيه ولا منهجه الخلاصي لعالمنا هذا. ولست أريد الظهور بمظهر المنتقد للجيل الطالع عندما أبدي رأيي الصريح بأن نسيان أو تناسي الله لا يساعدنا على حلّ مشاكلنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد شاطرتكم هذا الاختبار كمقدمة لبحثي في موضوع هام مبني على تعاليم القسم الأخير من الفصل الثاني عشر من الإنجيل حسب يوحنا. كتب الرسول هذه الكلمات الحزينة عن موقف العديدين من معاصري المسيح من رسالته الخلاصية:

ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات كثيرة فإنهم لم يؤمنوا به. ليتم قول اشعياء النبي: يا رب ؟ من صدّق خبرنا، ولمن أعلنت ذراع الرب ؟ واستطرد يوحنا متابعاً اقتباسه من نبوة اشعياء النبي الذي عاش قبل المسيح بعدة قرون: من أجل هذا لم يقدروا أن يؤمنوا لأن اشعياء قال أيضاً: قد أعمى عيونهم وقسّى قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم. قال اشعياء هذا لأنه رأى مجده وتكلّم عنه.

كان المسيح قد ابتدأ بالمناداة بالإنجيل في عامه الثلاثين وجال في سائر أنحاء البلاد المقدسة معلّماً الناس وصانعاً المعجزات والآيات والعجائب التي شهدت للملأ بأنه كان مرسلاً من الله للقيام بمهمته الخلاصية لصالح بني البشر. ظهر المسيح بمظهر انسان متواضع ومحب لسائر الناس ولكنه كان في نفس الوقت كلمة الله الأزلي الذي تجسد للقيام بمهمته الفريدة. ولم تكن غاية أعماله الباهرة التي قام بها هي لإرغام الناس على الإيمان به بل كانت بمثابة أوراق اعتماد سماوية المصدر. وعلى هذا الأساس يمكننا أن نفهم كلمات الرسول يوحنا: ومع أنه كان قد صنع آيات كثيرة فإنهم لم يؤمنوا به.

سمع معاصرو المسيح مرسل الله يعلّم كما لم يعلّم أي بشري آخر وشاهدوا معجزات شفاء المرضى وطرد الشياطين وإقامة الموتى. أبصروا كل هذه الأمور الباهرة ولكنهم لم يؤمنوا ! كيف نفسّر هذا الأمر المحزن ؟ أي منطق كانوا يدينون به عندما أنكروا مصدر رسالة المسيح الخلاصية ؟ لم يقبلوا المسيح لأنهم رفضوا تشخيصه الواقعي لحالتهم الروحية أي كونهم أسرى للخطيّة وعبيداً للشيطان. انتظروا مسيحاً من طراز آخر، مسيحاً عسكرياً يطرد جحافل الرومان ويعيد إليهم مجد مملكة داود وسليمان. إنهم أحبّوا مجد الناس أكثر من مجد الله.

وبما أن المسيح كان قد وفد عالمنا لتنفيذ مهمته الخلاصية فإنه أنهى تعاليمه للجماهير بهذه الكلمات الصريحة: من آمن بي فليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني. ومن رآني فقد رأى الذي أرسلني. كان معاصرو المسيح يفتخرون بأنهم قد استؤمنوا على الوحي الإلهي وكانوا يفتخرون بأنهم يتعبدون للإله الواحد الحقيقي الذي كان قد دعا ابراهيم واسحاق ويعقوب وكونهم شعباً خاصاً لم ينكر المسيح هذه الأمور التاريخية ولا الهبات الفريدة التي استلمها بنو اسرائيل ولكنه لفت أنظارهم إلى أن المؤمن بالله يؤمن بالمسيح أيضاً. وبعبارة أخرى، من رفض الإيمان بالمسيح المخلّص يكون قد رفض الإيمان بالله مرسله. وإن كانت أرواحهم تتضوّر جوعاً أو تتوق متلهفة للتقرب من الحضرة الإلهية، أفهمهم المسيح هذه

 All rights reserved © 2008-2018

الحقيقة الجوهرية: ومن رآني فقد رأى الذي أرسلني. دلّت هذه الكلمات على أن المسيح يسوع كان ذروة الوحي الإلهي وإن رفض الإنسان قبول هذا الوحي يكون قد رفض الله وقطع علاقته مع باريه.

وتابع السيد المسيح كلامه مكرّراً ما كان قد ذكره في مناسبات سابقة: إني جئت نوراً إلى العالم حتى لا يمكث في الظلمة كل من يؤمن بي. دلّت هذه الكلمات الربّانية بأن تقييم المسيح لحالة الإنسان الروحية كان تقييماً منطبقاً على الواقع البشري الأليم كما يراه الله. فمنذ أن ثار الإنسان الأول على الله جلب على نفسه وعلى ذرّيته حالة روحية وأخلاقية محزنة وصفها المسيح بحالة الظلمة أو الظلام. ومجئ المسيح إلى العالم كان بمثابة بزوغ نور الشمس الوضّاح الذي يطرد أشباح الظلام الروحي المسيطر على كل بشري. ومن قال في قرارة قلبه بأنه لا يعيش في الظلام وأنه ليس بحاجة إلى مخلّص أو منقذ أو محرّر، هكذا انسان يبقى ماكثاً في الظلمة. وإن لم يتب إلى الله يبقى في الظلمة إلى الأبد.

عاد المسيح إلى الكلام عن لبّ رسالته الإنقاذية قائلاً: وإن كان أحد يسمع كلماتي ولا يحفظها فأنا لا أدينه، لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلّص العالم. من رذلني ولم يقبل كلماتي فإن له من يدينه: الكلمة التي نطقت بها هي تدينه في اليوم الأخير. لأني لم أتكلّم من نفسي ولكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصيّة ماذا أقول وبماذا أتكلّم. وأنا أعلم أن وصيّته هي حياة أبديّة. فما أتكلّم به إذن فإنما أتكلّم به هكذا كما قاله لي الآب.

كانت هذه هي الكلمات الأخيرة التي تفوّه بها المسيح قبل إلقاء القبض عليه والمجئ به أمام رئيس الكهنة والوالي الروماني وصلبه وموته وقيامته من بين الأموات. ولذلك يجدر بنا أن نعيرها الأهمية القصوى. فنحن لا نقف تجاهها موقفاً حيادياً. فإما نقبلها ككلمات من جاء من السماء لينقذنا من الخطية أو نرفضها وإذ ذاك نجعلها الأساس الذي سندان عليه في يوم الحساب. وليست كلمات المسيح هذه كلمات تهديد أو إكراه. إنها صدرت من الذي أحبنا وبذل نفسه عنا إلى درجة أنه لم يحجم عن الموت عنّا موت الصليب. من قبل المسيح ورسالته الخلاصية نال الحياة الأبدية.

يعلمنا الإنجيل أن لبّ مشاكلنا هو في قلب الإنسان المظلم والذي هو بحاجة للخلاص. ومهما كنّا صريحين في حوارنا مع الآخرين ومهما تكلّمنا عن مثل عليا، فإننا لا نحل مشاكلنا إن تمادينا في رفض الحل الإلهي الذي تمّ منذ نحو ألفي سنة عندما وفد المسيح عالمنا وأنجز عمله الخلاصي بموته على الصليب وبقيامته من بين الأموات. وأدعو الله القدير بأن يمنح كل قارئ وقارئة المقدرة على قبول انجيل الخلاص والتمتّع بالحياة الأبدية التي لن ينتزعها منا أي بشريّ أو مخلوق آخر !

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من هو ابن الإنسان؟

لقد سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت أنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان ؟ من هو ابن الإنسان هذا ؟

الإنجيل حسب يوحنا ١٢: ٣٤

من الجدير بالذكر أن الكثيرين من الناس يحصرون اهتمامهم بالظروف الخارجية التي تحيط بالإنسان وهم يعالجون مشاكله المتكاثرة. فهم تارة يلومون وضعه الاقتصادي وتارة أخرى نوعيّة النظام الذي يحيا ضمنه. وقلّما تسمع كلاماً متّزناً يبدأ بمعالجة المشكلة الإنسانية في قلب الإنسان ذاته. لا بد للإنسان في نهاية المطاف من أن يضطلع بمسؤوليته ويقرّ بأن الخلل الذي طرأ على الحياة البشرية لا يمكن ارجاعه إلى مجرّد عوامل خارجية. ومهما حاول الإنسان أن يتنصّل من مسؤولياته فإنه يبقى مرغماً على مجابهة الواقع ولو كان الواقع أليماً.

ونتعلّم درساً هاماً عن موضوعنا هذا في القسم الثاني من الفصل الثاني عشر من الإنجيل حسب يوحنا. كان عيد الفصح قد اقترب وكان المعيّدون قد جاؤوا من سائر أنحاء فلسطين ومن البلاد المجاورة لزيارة القدس. ومما ورد في الإنجيل: وكان قوم من اليونانيين (أي من الدخلاء الذين كانوا قد اعتنقوا اليهودية) من الذين صعدوا ليسجدوا في العيد. فتقدّم هؤلاء إلى فيلبس وسألوه قائلين: يا سيّد نريد أن نرى يسوع.

يا لها من كلمات هامة ! فبينما كان زعماء الدين في القدس يتآمرون على قتل المسيح يسوع، كان بعض الدخلاء يطلبون مشاهدة يسوع. وما أن سمع المسيح طلبهم هذا حتى قال: لقد أتت الساعة التي يتمجّد فيها ابن الإنسان. الحق، الحق أقول لكم: إن لم تقع حبّة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت فإنها تأتي بثمر كثير. من يحب نفسه يفقدها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها للحياة الأبدية. إن كان أحد يخدمني فليتبعني، وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي، إن كان أحد يخدمني يكرمه الآب.

ما معنى هذه الكلمات التي تفوّه بها المسيح ؟ أشار له المجد إلى رسالته السماويّة والخلاصية التي رفضها الزعماء الدينيّون في القدس بينما قبلها بكل فرح ولهفة الغرباء والدخلاء ! ثم أشار المسيح إلى أن مهمته الخلاصية والفدائية لم تكن لتتحقق بدون موته على الصليب. ونظر المسيح إلى موته الكفاري كالعمل الرئيسي الذي أسنده إليه الله الآب. وإن كان البعض من سامعيه قد عارضوا هكذا تعليم فإنهم لم يكونوا قد فهموا المنهج الإلهي للحياة. فمن يحب نفسهن أي ذلك الإنسان الذي تدور حياته على محور الذات يكون في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

النهاية من الخاسرين. وأما الذي يبغض نفسه أي ذلك الإنسان الذي يضحي بنفسه في سبيل الله والآخرين فإنه يحفظ حياته للحياة الأبدية.

ظهرت هذه التعاليم غريبة للغاية ولذلك رفع المسيح هذا الدعاء قائلاً:

الآن نفسي قد اضطربت وماذا أقول ؟ أيها الآب نجّني من هذه الساعة ؟ ولكنّي لأجل هذا جئت إلى هذه الساعة. أيها الآب مجّد اسمك. فجاء صوت من السماء: قد مجّدته وسأمجّده أيضاً. فسمع هذا الجمع الواقف هناك فقالوا: قد حدث رعد. وآخرون قالوا: قد كلّمه ملاك. فأجاب يسوع وقال: ليس من أجلي جاء هذا الصوت بل من أجلكم.

كان ظل الصليب مخيّماً على جميع ساعات وأيام هذا الأسبوع الحاسم في سيرة المسيح. وكان له المجد ملمّاً بمعارضة اليهود للفداء الجبّار الذي كان سيتمّمه بموته الكفاري على الصليب وبقيامته من بين الأموات. أكّد المسيح في صلاته هذه أنه جاء من السماء إلى هذه الساعة أي لتتميم برنامج الله الفدائي عندما كان سيسمّر على خشبة الصليب خارج أسوار المدينة المقدسة. ولم يكن موت المسيح يظهر أي ضعف لدى الله. على العكس، كشف الله عن محبّته اللانهائية لنا نحن البشر عندما بذل ابنه الوحيد على الصليب لكي لا يهلك كل من يؤمن بل تكون له الحياة الأبدية.

تابع المسيح كلامه قائلاً: الآن دينونة هذا العالم، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً. فمجئ المسيح إلى عالمنا كشف نوايا الشيطان عدو الله وعدو الإنسان. ولم يكن بنو اسرائيل يتمتعون في تلك الأيام بقيادة روحية سليمة. فرؤساء الكهنة والكتبة أي خبراء الشريعة الموسوية لم يعلّموا الشعب كلمة الله بصورة تقية. فبينما كانت شهادة الوحي الإلهي تتمركز في مسيح الله وفي عمله الخلاصي الذي كان سيتممه على الصليب، فإن قادة بني اسرائيل أنكروا ذلك وعمدوا إلى وضع أساس خاطئ للديانة المقبولة لدى الله أي بالاتكال على أعمالهم وجهودهم الخاصة.

وإذ كان المسيح شاعراً بأن ساعة آلامه قد اقتربت وأنه كان سيموت عنا على الصليب قال: وأنا متى ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع. وعلّق يوحنا الرسول على هذه الكلمات قائلاً: قال يسوع هذا ليشير إلى أيّة ميتة كان مزعماً أن يموتها.

وما أن سمع الحاضرون المسيح يتكلّم عن ارتفاعه عن الأرض حتى أخذوا يقولون له: لقد سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد، فكيف تقول أنت أنّه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان ؟ من هو ابن الإنسان هذا ؟ ذكر هؤلاء أنهم سمعوا من الناموس؛ وهذه الكلمة أي ناموس تعادل كلمة توراة العبرية. كانت تشير أحياناً إلى الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدّس وأحياناً أخرى أشارت كلمة ناموس إلى جميع أجزاء الكتاب المقدّس أي إلى التوراة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والأنبياء والمزامير. وبعبارة أخرى كان السامعون قد فهموا من التعاليم التي كانوا قد تلقنوها أن المسيح متى جاء كان سيبقى إلى الأبد. احتاروا من كلمات المسيح لأنه ذكر أنه كان سيرتفع عن الأرض. عارضت كلمات المسيح هذا التقليد الموروث عن الآباء والأجداد. فما هو الحلّ ؟ وازدادت حيرتهم عندما دعا المسيح نفسه بلقب ابن الإنسان. فقالوا له: من هو ابن الإنسان هذا ؟

من هو ابن الإنسان هذا ؟ سؤال هام للغاية وليس فقط لمعاصري المسيح بل لنا نحن أيضاً. لماذا اختار المسيح هذا اللقب للإشارة إلى نفسه ؟ كان أول بشري خلقه الله آدم وقد خلقه الله من تراب وعلى صورته وشبهه. امتاز الإنسان منذ البدء بسموّه على سائر المخلوقات التي صنعها الله. لكن الإنسان الأول فشل في الامتحان وسقط في الخطية والمعصية وجلب على نفسه وعلى نسله الشرّ والعبودية للشيطان. من ينقذ الإنسان من الدمار الروحي الذي ألمّ به ؟ وعد الله أبوينا آدم وحوّاء بأن يرسل واحداً من نسل المرأة ليسحق رأس الشيطان. وقد كرّر الله هذا الوعد بصورة أكثر جلاء في أيام ابراهيم واسحاق ويعقوب ومن بعدهم في أيام الأنبياء.

وفي الوقت المعيّن من قبل الله والمدعو بلغة الكتاب بملء الزمن جاء المسيح من السماء وأخذ طبيعة بشرية حقيقية بولادته من العذراء مريم. وعلى هذا الأساس دعا المسيح نفسه بابن الإنسان. المسيح هو ابن الله الأزلي، إنه كلمة الله الأزلي كما تعلّمنا في فاتحة الإنجيل حسب يوحنا. لكنه وفد عالمنا وحلّ بيننا لينقذنا من خطايانا باتخاذه ناسوتنا ضمن شخصه أو أقنومه الواحد. المسيح يسوع هو ابن الإنسان الفريد الذي لم يعرف الشرّ ولم يرتكب الخطية والمعصية جسم البشرية جمعاء هكذا كان الخلاص من الخطية بواسطة المسيح يسوع ابن الله وابن الإنسان.

تساءل معاصرو المسيح عن شخصية ابن الإنسان وكان من واجبهم الإصغاء إلى جواب المسيح الذي دعا ولا يزال يدعو جميع السامعين لقبول هذا التعليم الهام عن طبيعة العمل الخلاصي الذي كان سيتم على الصليب. قال المسيح:

إن النور معكم زماناً يسيراً بعد، فسيروا ما دام النور معكم لئلا يدرككم الظلام. ومن يسير في الظلام لا يعلم أين يذهب. فما دام النور معكم فآمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور.

وخلاصة القول أن المسيح لم يأت ليتجادل معنا بل وفد من السماء ليخلّصنا وينقذنا من خطايانا وليدحر الشيطان عدوّنا اللدود. إن سرنا في طريق المسيح المستقيم نسير في نوره العظيم، وإن لم نؤمن به ولم نتخذه مخلّصاً لنفوسنا نبقى سائرين في الظلام الذي يتوه فيه بنو البشر. وإن تابعنا مسيرتنا في الظلام أي خارج الطريق الذي رسمه لنا المسيح، يكون مصيرنا الأبدي قاتماً للغاية. ساعدنا الله القدير بروحه القدّوس لنقف موقف المؤمنين من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ابن الإنسان: يسوع المسيح الذي أحبّنا محبة قصوى وبذل دمه الزكي على الصليب لنحصل على الغفران والحياة الأبدية السعيدة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مبارك الآتي باسم الرب

وفي الغد، سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آت إلى أورشليم، فأخذوا سعف النخيل وخرجوا للقائه وهم يصرخون: أوصنّا، مبارك الآتي باسم الرب، ملك اسرائيل.

الإنجيل حسب يوحنا ١٢: ١٢ و ١٣

الإنسان مخلوق عجيب وغامض. فمع أنّه قام منذ فجر التاريخ بمآثر لا تعدّ ولا تحصى، إلا أنّه لم ينجح إلى يومنا هذا في العيش بسلام ووئام مع جاره الإنسان ومع كثرة الحاجة إلى الاهتمام بأمور المعيشة اليومية والتغلّب على الأمراض التي تفتك ببني البشر، إلا أننا نرى بكل أسف ميل الإنسان نحو تكديس آلات الدمار والهلاك.

وبما أن الإنسان هو الذي أوجد مشاكله العديدة فإنه من العبث أن نتأمّل منه بأن يجد حلولاً لها. الله وحده قادر بأن يرينا الطريق السليم الذي نجد عليه السلام. وإذ أصبح الشرّ جزءاً من طبيعتنا البشرية فنحن بحاجة إلى أكثر من معلّم أو مرشد، إننا بحاجة إلى مخلّص ومنقذ يحررنا من عبوديتنا للخطية أي ذلك الميل الدائم الذي يدفعنا للقيام بأمور معارضة للشرعية الإلهية.

وعندما ندرس الإنجيل نلاحظ توّاً أن المسيح يسوع جاء لإنقاذنا من شرورنا وآثامنا وليعطينا الإمكانية للعيش بسلام مع أقراننا بني البشر. وقد أعطى الله الآب السيد المسيح أوراق اعتماد خاصة لتظهر للملأ صحة تعاليمه وطبيعة رسالته السماوية. وما هي أوراق الاعتماد هذه ؟

كانت المعجزات والآيات والعجائب التي قام بها لصالح بني البشر والذين كانوا من معاصريه في فلسطين. أطعم الآلاف من بضعة أرغفة خبز وسمكتين وشفى المرضى وأقام الموتى.دلّت هذه الأمور أنّ المسيح كان موفد السماء للقيام بعمل خلاصي جبار لصالح البشرية جمعاء.

ولكن ماذا حدث عندما ابتدأ المسيح يسوع بالتجوال في الأرض المقدسة معلّما وشافيا ؟ ظهرت في وجهه معارضة شديدة قادها زعماء الدين في القدس. لم يقبلوا شهادة المسيح عن نفسه ولم يؤمنوا بمعنى وهدف المعجزات التي قام بها وعملوا جهدهم للتقليل من شأنها. وعندما لم ينجحوا في ابعاد الجماهير عنه تآمروا عليه للتخلّص منه نهائياً. وعندما أقام المسيح لعازر من بين الأموات كان لهذه الآية تأثير كبير على الناس الذين كانوا قد وفدوا القدس نظراً لاقتراب موسم الأعياد. فقرّر أعداء المسيح أن يقتلوه في أول فرصة تسنح لهم. وكتب عن هذا الموضوع الرسول يوحنا في الإنجيل ما يلي:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعلم جمع كثير من اليهود أنّه – أي المسيح – هناك، فجاءوا لا من أجل يسوع فقط، بل لينظروا أيضاً لعازر الذي أقامه من بين الأموات. فأتمر رؤساء الكهنة أن يقتلوا لعازر أيضاً، لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون بيسوع. يا لها من كلمات صعبة ! عوضاً عن أن يمجّد رؤساء الكهنة الله بمناسبة هذه المعجزة العظيمة التي جرت في ضواحي القدس، أخذوا يتآمرون على قتل كل من المسيح ولعازر ؟ أهناك شك في وجود خلل هائل في صميم حياة البشر ؟

حضر المسيح وتلاميذه وليمة عشاء في قرية بيت عنيا وهي قرية لعازر، فأكرمت مريم، أخت لعازر، المسيح بدهن قدميه بطيب من النارديين الخالص. فامتلأ البيت من رائحة الطيب. فقال أحد تلاميذه وهو يهوذا الإسخريوطي – الذي كان مزمعاً أن يسلّمه - : لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاث مئة دينار وتعطى للفقراء ؟ وإنما قال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء بل لأنه كان سارقاً، إذ كان الصندوق عنده وكان يسرق ما يلقى فيه. فقال يسوع: دعها. فإنها قد حفظته ليوم دفني. فإن الفقراء معكم في كل حين وأمّا أنا فلست معكم في كل حين.

هل لاحظت أيها القارئ الكريم نبوّة المسيح عن موته الذي كان سيتم بعد نحو أسبوع واحد ؟ ذكر المسيح موضوع موته الذي كان سيضحي الطريقة الفعّالة لشفائنا من خطايانا وآثامنا ولإعطائنا القوّة اللازمة للعيش بسلام مع الله ومع البشر. وقد تقول لي: ألم يكن المسيح منحدراً من نسل داود الملك، فكيف تقول بأنه كان سيقتل ؟ ! نعم كان المسيح من نسل داود وكان ملكاً لكن ملكوته لم يكن من طراز ممالك هذه الدنيا. وقد أظهر ذلك بصورة جلية عندما دخل القدس في أيام عيد الفصح راكباً على جحش متمماً نبوة زكريا النبي وهو أحد أنبياء العهد أو النظام القديم (أي أيام ما قبل الميلاد).

وفي الغد، سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آت إلى أورشليم، فأخذوا سعف النخل وخرجوا للقائه وهم يصرخون: أوصنا، مبارك الآتي باسم الرب، ملك اسرائيل. ووجد يسوع جحشاً فركب عليه كما هو مكتوب: لا تخافي يا ابنة صهيون، هوذا ملكك يأتي راكباً على جحش ابن أتان.

أوصنّا ! كلمة عبريّة أتت إلينا بقالب يوناني وتعني: خلّصنا ! هذا ما كانت ترنو إليه الجماهير الواردة إلى القدس لتعيّد عيد الفصح. خلّصنا، يا مسيح الله ! ربما لم يفقه الجميع بأن الخلاص الذي جاء المسيح لتتميمه كان خلاصنا من الخطية والشرّ الكامنين في قلب كل بشريّ. لكن المسيح لم يعلن نفسه ملكاً من طراز ملوك البشر والذين كانوا يمتطون آنئذ حصاناً للذهاب على الحرب. ركب المسيح على جحش فرمز بذلك إلى وداعته وإلى كون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ملكوته ملكوتاً سماويّاً. لم يأت المسيح من تلقاء نفسه بل جاء من الله وباسم الرب أي باسم الله الآب، لتتميم مهمته الفريدة على الأرض.

ولم يفهم تلاميذه هذه الأمور أولاً ولكن لما تمجّد يسوع – أي بعد أن مات وقام من بين الأموات وصعد إلى السماء – عندئذ تذكروا أن هذا قد كتب عنه – أي في الفصل التاسع من نبوّة زكريا النبي – وأنهم صنعوا هذه له. والجمع الذي كان معه حين دعا لعازر من القبر وأقامه من بين الأموات كان يشهد له. من أجل هذا أيضاً استقبله الجمع لأنهم سمعوا أنه قد صنع هذه الآية. فقال الفريسيون فيما بينهم: أنتم ترون أنكم لا تفيدون شيئا، فهوذا العالم قد ذهب في أثره.

رحّب الناس بالمسيح وطلبوا منه أن يمنحهم الخلاص ومجّدوا اسم الله الذي أرسله للقيام بمهمته الفدائية الفريدة. لكن الذين كانوا قادة الشعب لم يرحّبوا به بل صمموا على قتله. وليس هذا بموقف منعزل عن موقف العديدين عبر العصور المتعاقبة والذين لم يرحّبوا بالمسيح وبرسالته الخلاصية. فما أكثر الذين وقعوا في نفس الخطأ الفادح الذي سقط فيه معاصرو المسيح ! نشدوا ملكاً أرضياً يضاهي إمبراطورية الرومان المستعمرين. ومع أن المسيح كان عالماً كل العلم ببطش الرومان وبقساوتهم في مستعمراتهم العديدة المنتشرة في حوض المتوسط وفي أوربا الغربية حتى أواسط بريطانيا، إلا أنه شدّد على هذا الأمر: جاء من السماء لتدشين ملكوت الله وذلك بمجابهته للشر والخطية الكامنين في حياة كل بشري، أكان يهودياً أو رومانياً أو يونانياً. الجميع أخطأوا والجميع بحاجة إلى انقاذ إلهي المصدر.

كان المسيح مصمّماً على أن لا يثنيه عن عزمه أي بشري. كان يعمل على تخليص البشرية من عذاباتها وآلامها وشقائها وذلك بالقضاء على الخطية. نشد زعماء اسرائيل في تلك الأيام بطلاً حربياً كبعض أبطالهم الذين حاربوا الاستعمار السلوقي في القرن الثاني قبل الميلاد. فلم يفتحوا قلوبهم لقبول تعاليم الكتاب المقدّس التي كانت تشير إلى شخصية المسيح المنتظر وأهمية العمل الفدائي الذي كان سيقوم به في الأرض المقدّسة وفي الوقت المعيّن من الله.

وكم علينا أن نحمد الله لأن البعض من عامة الشعب كصيادي السمك وجباة الضرائب المحتقرين، رحّبوا برسالة المسيح الخلاصية. وبعد موت المسيح على الصليب وقيامته في اليوم الثالث من بين الأموات، صاروا رسل المسيح ونادوا بانجيله الخلاصي في سائر أنحاء العالم المتوسّطي. ونحن ننضم إليهم ونؤمن بالمسيح المخلّص كما كشف عن ذاته

في الإنجيل المقدس ونقول فرحين ومتهللين: أوصنا، مبارك الآتي باسم الرب. ولا نحيي ذكرى هذه الحادثة التاريخية فقط بل ننظر إلى المستقبل برجاء حيّ وننتظر عودة المسيح

 All rights reserved © 2008-2018

إلى عالمنا كالملك الجبّار الذي سيدين الأحياء والأموات والذي سيعطينا السلام في ملكوت الله

المجيد.

أيها القارئ العزيز ! هل أنت مستعدّ للقاء المسيح ؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح والقيامة والحياة

قال لها يسوع: أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي وإن مات فسيحيا. وكل من كان حيّا وآمن بي، فلن يموت إلى الأبد.

الإنجيل حسب يوحنا ١١: ٢٥ و ٢٦

ما أكثر المشاكل التي تقضّ مضجع البشرية ! يمكننا أن نعدّد بعضها كمشاكل الحرب والسلام والجوع والمرض والبطالة والتهجير إلى ما هناك من معضلات لا تعدّ ولا تحصى.وفي نهاية المطاف نقول أن مشكلة المشكلات لا تتغيّر وهي معنا منذ فجر التاريخ، ما أعنيه هو ظاهرة الموت. ينقض الموت على الأغنياء والفقراء، على الأطفال والمسنين، على الرجال والنساء. وممّا يجعل الموت مشكلة هائلة الأبعاد كونه نهائياً. فإن مرض انسان فربّما يشفى ويعود إلى صحته وعافيته. وإن كان انسان بدون عمل فربّما يجد عملاً يعيش منه فيكتسب معنوياته المفقودة. لكن الموت فريد، إنه النهاية التي لا رجعة منها وهو يقضي على جميع الأحلام ويحطّم جميع الآمال. الموت هو الكلمة النهائية، السلبية المطلقة. الموت هو الظلام الدامس الذي لا نور صباح بعده !

وقد حاول الإنسان منذ القديم بأن يتغلب على نهائية الموت فبنى قبوراً كبيرة ونسج أساطير منمّقة عن الحياة بعد الموت. لكنه ليس هناك من يروي عطشنا بخصوص هذا الموضوع الكلّي الأهمية. ليس هناك من بشري يقدر أن يخفف من الآلام المبرحة التي تنقض علينا في وفاة أب أو أم أو أخ أو أخت أو ابن أو ابنة أو قريب أو صديق ! من يملأ الفراغ الهائل بعد موت من كان جزءاً لا يتجزأ من عائلتنا ؟ ليس هناك من يقدر أن يقوم بتلطيف الجو الذي تغيّر فجأة عندما اختطفت يد المنون أحد أحبائنا وليست هناك من فلسفة أو ايديولوجية تستطيع أن تخفف من اللوعة التي تحتلّ قلب الإنسان المفجوع بموت قريب أو صديق. تبوء جميع محاولات البشر بالفشل الذريع في موضوع تعزية الأحياء عندما يذهب أحباؤهم إلى ديار الأبدية. تبقى كلمات البشر فارغة وخاوية في هكذا حالات ويشتد الحنين إلى إحياء اللحظات والأيام والسنين التي كان فيها أحباؤنا على قيد الحياة. ولكن هذه المحاولات تبقى عبارة عن ومضات آنية تحضر بواسطتها إحدى المشاهد أو المواقف التي تشابكت فيها حياتنا بحياة من غاب عنّا نهائياً. لأن الموت فصله عنّا في لمحة بصر. باطل الأباطيل ! لا يقدر الإنسان أن يعزّي الإنسان لأنه مائت لا محالة، إن عاجلاً أو آجلاً.

ولكن شكراً لله لأنه لم يتركنا يتامى ولا كتب لنا أن نحيا في ظلام الموت والخوف والرعب. بمجيء المسيح يسوع إلى عالمنا، عالم العذابات والآلام والموت، جاءت بشرى الغلبة على الموت. وبزغ نور الرجاء الساطع الذي يبشّرنا بقيامة من الأموات وبحياة سعيدة في ملكوت الله المجيد. وقد سرد لنا الرسول يوحنا في الفصل الحادي عشر من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإنجيل حادثة إقامة لعازر من بين الأموات لإعطائنا درساً هاماً عن موضوع الحياة والموت والقيامة.

كان إنسان مريض وهو لعازر (ومعنى هذا الاسم المشتق من الاسم العبري اليعازر الله هو معيني) من بيت عنيا من قرية مريم ومرتا أختها. (وكانت بيت عنيا بالقرب من القدس) فأرسلت الأختان إليه تقولان: يا سيد هوذا الذي تحبّه مريض. وعوضاً عن أن يسرع المسيح بالذهاب من شرقي الأردن إلى ضواحي القدس، بقي في ذلك الإقليم وقال لتلاميذه مفسّراً: ليس هذا المرض للموت بل لمجد الله، ليتمجّد الله به.

لبث المسيح مدّة يومين في شرقي الأردن ثم قال لتلاميذه: لنذهب إلى اليهوديّة أيضاً. فتعجّب التلاميذ لأنهم كانوا يعلمون أن أعداء المسيح كانوا واقفين له بالمرصاد. ولكن السيد له المجد لم يتوان في مسيرته بل قال لهم: أليس في النهار اثنتا عشرة ساعة ؟ فإن مشى أحد في النهار لا يعثر لأنه يبصر نور هذا العالم. ولكن إن مشى في الليل يعثر لأن النور ليس فيه. وبعد أن ذكر المسيح أن لعازر كان قد نام ولم يفهم التلاميذ أنه كان يعني رقاد الموت، قال لهم بصراحة: لعازر قد مات، وأنا أفرح لأجلكم أني لم أكن هناك لكي تؤمنوا. ولكن لنذهب إليه. فلمّا أتى يسوع وجد أن لعازر كان في القبر أربعة أيام.

قد لا نفهم في بادئ الأمر لماذا توانى المسيح عن المجئ إلى بيت عنيا لشفاء لعازر من المرض الخطير الذي كان قد ألمّ به. ولكننا سنفهم في النهاية أن المسيح أراد أن يعلّمنا إن كنّا من معاصريه أو من الذين يعيشون في العصور المتتالية درساً هاماً عن الحياة والموت والقيامة من بين الأموات.

استقبلت مرتا السيد المسيح خارج البيت وقالت له والدموع تنهمر من عينيها: يا سيد، لو كنت ههنا لم يمت أخي. أظهرت مرتا إيمانها بالمسيح ولكنه كان إيماناً غير منار بالحقيقة الكاملة عن المسيح وعن قوّته الخلاصية. كانت مرتا تعتقد بأن المسيح يستطيع شفاء المرضى فيما إذا كان قريباً منهم. ولكنه لا يجوز لنا أن ننتقد أخت لعازر، لنصغي إلى كلماتها التي أظهرت نموّ إيمانها وسط الفاجعة الكبرى التي كانت قد انقضّت عليها وعلى أختها مريم. تابعت كلامها قائلة للسيد المسيح: ولكني أعلم الآن أيضاً أنك مهما تطلب من الله فإن الله يعطيك إياه. اتّسع أفق إيمان مرتا ورأت بأن المسيح كان أقوى بكثير من أن تنحصر فاعلية معجزاته بقربه من الناس. أجابها المخلص المسيح قائلاً: سيقوم أخوك. فظنت مرتا أن المسيح كان يتكلم عن القيامة في يوم الحساب فقالت معلّقة: أنا أعلم أنه سيقوم، في القيامة، في اليوم الأخير. فما كان من المسيح إلا وأن قال لها:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي وإن مات فسيحيا. وكل من كان حيّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا ؟ قالت له: نعم يا سيّد إني قد آمنت أنك المسيح ابن الله الآتي إلى العالم.

عرّف المسيح القيامة بطريقة فريدة. ليست القيامة مجرّد حادثة مستقبليّة ستجري في نهاية التاريخ. كانت القيامة الحقيقية التي تكلّم عنها المسيح تلك العلاقة الحيوية والحميمة التي تنشأ بين الإنسان والمسيح يسوع الذي جاء من السماء لإنقاذنا نحن البشر من الخطية ومن شوكة الخطية أي من الموت. وبعبارة أخرى، مع أن القيامة العامّة ستتم في اليوم الأخير أي في يوم الحساب، إلا أنه بامكاننا أن نتذوّق طعم القيامة منذ الآن وذلك عندما نؤمن بالمسيح كفادينا ومخلصنا من الخطية.

ولكن كيف كان يمكن للناس أن يصدّقوا كلمات المسيح التي تفوّه بها في حضور مرتا: أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا ؟ كيف تفهم هكذا معادلة بين حادثة مستقبلية والمسيح يسوع ؟ لم يكتف المسيح يسوع بقوله ما قاله عن كونه القيامة والحياة بل ذهب إلى قبر لعازر المنحوت في الصخر وقال لمن كانوا حوله: ارفعوا الحجر. أي الحجر الذي كان على باب القبر. ولما احتجت مرتا قائلة: يا سيّد لقد أنتن فإن له أربعة أيام، قال لها يسوع: ألم أقل أنك إن آمنت ترين مجد الله ؟ ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي وقد علمت أنك تسمع لي في كل حين ولكن قلت هذا لأجل هذا الجمع الواقف حولي ليؤمنوا أنك أرسلتني. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم: لعازر هلمّ خارجاً ! فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأربطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع: حلّوه ودعوه يذهب.

تفوّه المسيح المخلّص بكلماته الهامة: أنا هو القيامة والحياة وبرهن على صحة كلامه بإقامة لعازر من بين الأموات. أهناك أي شك في مقدرة المسيح يسوع على إعطائنا الحياة الأبدية عندما نؤمن به قلبياً ونتخذه مخلّصاً من الخطية والشر ؟

أيها القارئ العزيز ! حياتنا المعاصرة مليئة بالفواجع. ربّما قد خسرت أعزّ شخص في حياتك منذ مدة وجيزة ولا زلت في حيرة بما يخبّئه لك الغد من مفاجآت ومخاطر ! لا تخف من المستقبل المجهول. ضع ثقتك القلبية في يسوع المسيح قاهر الموت وواهب الحياة الأبدية واشهد عن خلاصك بين أقرانك ومجّد الله القدير في حياتك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نور العالم

ما دمت في العالم فأنا نور العالم.

الإنجيل حسب يوحنا ٩: ٥

ربما لم يحدث تطوّر في مضمار الحياة البشرية يضاهي ما جرى في القرن العشرين وخاصة في الحياة المنزلية ووسائط النقل البرّية والبحرية والجوّية. ويرجع هذا إلى اكتشاف الطاقة الكهربائية وتسخيرها في موضوع الإنارة. وتقف على أهمية الطاقة الكهربائية عندما نذهب لزيارة المدن الكبيرة التي تضاء شوارعها بمصابيح كهربائية مبددة للظلام. ما أهم النور في عالمنا! لو لم يكن النور لمّا نبتت المزروعات ولا نعدمت الحياة البشرية والحيوانية بأسرها.

وما نذكره عن النور المادّي ينطبق أيضاً على النور الذي نحتاج إليه في حياتنا الروحية والعقلية. فنحن لسنا بكائنات ذات بعدٍ مادي فقط بل تتكون من جسد وروح وحياتنا الروحية والعقلية بحاجة ماسة إلى نور يضيء لها الطريق. وإنسان اليوم الذي قطع أشواطاً كبيرة في حقل التنوير لم يظهر تقدماً مماثلاً في حقل النور الروحي. فما أكثر الذين واللواتي وقعوا فريسة لنظريات تصوّر الإنسان ككائن مستقل كل الاستقلال عن الله وعن النور المنعش والمحيي الذي نجده في وحيه المقدس. يتباهى إنسان اليوم باستقلاليته عن الله وينكر محدوديته واتكاليته المطلقة على باريه. فحاجتنا الماسة إذن هي أن تعود إلى صفاء الوحي الإلهي الذي يحدّد لنا ماهية النور الروحي ومصدره.

وقد ورد في الإنجيل ما يلي عن موضوعنا هذا من خلال المسيح بمعجزة شفائية لصالح رجل كان قد ولد أعمى. وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ مولده . فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم، من أخطأ هذا أم أبوه حتى ولد أعمى ؟ أجاب يسوع: لا هذا اخطأ ولا أبواه، وإنما لتظهر أعمال الله فيه.

كان سؤال تلاميذ المسيح مبنياً على اعتقاد خاطيء أرجع العاهات التي تلمّ ببعض الناس إلى خطيئة معينة كانوا قد ارتكبوها هم أو والدوهم . لم يكن هكذا منطق مقبولا لدى المسيح. وقد أظهرت الآيات التي قام بها المسيح استمرارية أعمال الله في دنيانا وشهدت بأن المسيح كان مرسل الله للقيام بمهمة انقاذية وخلاصية وفدائية. هذا هو الدرس الهام الذي نتعلمه من المسيح الذي قام بمعجزة شفاء الأعمى ومن الكلمات التي تفوّه بها المسيح بخصوص ذلك: ما دمت في العالم فأنا نور العالم.

فمع وجود أسفار الوحي لدى بني اسرائيل في أيام المسيح (أي كتب التوراة والأنبياء والمزامير) إلا أن تعاليمها المحرّرة لم تؤثر على الناس بسبب النظريات الخاطئة عن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإنسان التي كان ينادي بها زعماء اسرائيل. وهكذا فقد الناس ذلك النور الذي كان يشع من الوحي الإلهي وسادت حياتهم غيوم سوداء. فجاءهم المسيح منادياً بكلمة الله ومفسراً لها بطريقة سليمة فأضحت تعاليمه وأعماله الباهرة بمثابة نور إلهي وضّاح بزغ على جميع أنحاء فلسطين.

وقد يقول قائل: كيف يمكن لمعاصري المسيح أن يعيشوا في ظلام روحي بينما كانوا قد اؤتمنوا على أسفار الوحي الإلهي ؟ يكمن الجواب على هذا السؤال في موقف زعماء اسرائيل الدينيين من يسوع المسيح.فقد رفضوا قبول شهادة معجزة شفاء الأعمى واضطهدوه وكذلك رفضوا رسالة صانع المعجزة.

صنع المسيح من التفل طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى وقال له: اذهب واغتسل في بركة سلوام. فمضى واغتسل وعاد بصيراً. فقال الجيران والذين كانوا يرونه من قبل يتسوّل: أليس هذا هو الذي كان يجلس ويتسوّل ؟ فقال آخرون: إنه هو. وقال غيرهم: لا، إنه يشبهه. وأما هو فكان يقول: إني أنا هو. فأتوا بالذي كان قبلاً أعمى إلى الفريسيين. وكان اليوم الذي صنع فيه يسوع الطين وفتح عينيه يوم السبت. فسأله الفريسيون أيضاً كيف أبصر. فقال لهم: وضع على عينيّ طيناً واغتسلت فأبصرت. فقال قوم من الفريسيين: هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت. فقال آخرون: كيف يقدر انسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات ؟ فوقع بينهم شقاق. وقالوا أيضاً للأعمى: ماذا تقول أنت من حيث أنه فتح عينيك ؟ فقال: إنه نبي.

ومع سماعهم لهذه الشهادة الواضحة والصادرة من صميم قلب من اختبر المعجزة الشفائية إلا أن الفريسيين لم يقبلوها بل استدعوا والديه واستجوبوهما عن صحة ما حدث. ثم دعوا الإنسان من جديد وقالوا له: أعط مجداً لله، فإننا نعلم أن هذا الإنسان خاطئ. فأجاب ذاك: إن كان خاطئاً فلا أعلم، إنما أعلم شيئاً واحداً: أني كنت أعمى والآن أبصر. فقالوا له: ماذا صنع بك وكيف فتح عينيك ؟ أجابهم: لقد أخبرتكم ولم تسمعوا. فلماذا تريدون أن تسمعوا بعد ؟ ألعلكم تريدون أنتم أيضاً أن تصيروا له تلاميذ ؟ فشتموه وقالوا: أنت تلميذ ذاك. أما نحن فإننا تلاميذ موسى. ونحن نعلم أن الله كلّم موسى، أما هذا فلا نعلم من أين هو. أجاب الرجل وقال لهم: إن هذا عجباً ! إنكم لا تعلمون من أين هو وقد فتح عينيّ. ونحن نعلم أن الله لا يسمع للخطاة، أما إن كان أحد يتّقي الله ويعمل مشيئته فإنه يسمع له. ولم يسمع منذ الدهر أن أحداً فتح عيني من ولد أعمى. فلو لم يكن هذا من الله لما استطاع أن يفعل شيئاً. أجابوه وقالوا له: إنك بجملتك قد ولدت في الخطايا، أتعلّمنا أنت ؟ وطردوه خارجاً.

تظهر تفاصيل هذا الحوار مقدار الظلام الروحي الذي كان مخيّماً على الكثيرين من الناس لأنهم لم يسمحوا لنور كلمة الله بأن يشعّ في حياتهم. جرت المعجزة الشفائية في وضح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

النهار ومن كان قد ولد أعمى صار مبصراً وكان على وشك بأن يترك حياة التسوّل ليصبح عضواً عاملاً في مجتمعه. لكن الفريسيين ثابروا على نكران الحقيقة وحاولوا طمس معالمها. ما هو الدافع الحقيقي لهذا الموقف الشاذ واللامنطقي ؟ لندع السيد المسيح يشرح لنا هذا الموضوع الحسّاس في القسم الأخير من الفصل التاسع من الإنجيل. قال المسيح لمن كان قد شفاه:

أتؤمن بابن الله ؟ فأجاب ذاك وقال: ومن هو يا سيّد لأومن به ؟ فقال له يسوع: قد رأيته فهو الذي يكلّمك. فقال: إني أومن يا سيّد. وسجد له. فقال يسوع: إني أتيت إلى هذا العالم للدينونة لكي يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون.

ماذا عنى المسيح بهذه الكلمات ؟ كانت غاية المسيح من مجيئه إلى دنيانا هي غاية فدائية، خلاصية وتحريرية. وينتج عن رفض الناس للمسيح ولمهمته الخلاصية أن قلوبهم تتقسّى وتتحجر. فبالنسبة إلى هكذا أناس يضحي المجئ الأول للمسيح بمثابة دينونة رهيبة. على هذا الأساس نفهم كلمات المسيح هذه: إني أتيت إلى هذا العالم للدينونة لكي يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون. فمن كان أعمى روحياً (وهذه حالة جميع بني آدم) يصبح من المبصرين على شرط أن يؤمن بالمسيح يسوع وبمهمّته الخلاصية التي تمّت على الصليب. وأما الذي يقول عن نفسه بأنه غير خاطئ وأنه ليس بحاجة إلى منقذ ومخلّص ومحرّر، هكذا انسان يكون قد حرم نفسه من نور المسيح الفدائي وبقي أعمى روحياً ! سمع زعماء القدس كلمات المسيح هذه فقالوا له: ألعلّنا نحن أيضاً عميان ؟ فقال لهم يسوع: لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية أي لو كانوا بدون وحي الله المنير والمدوّن في أسفار الكتاب المقدّس بعهده القديم (أي التوراة والأنبياء والمزامير)، لما كانت لهم خطية. لكنهم نظراً لكل ما كانوا قد حصلوا عليه من تراثهم الديني الغني والذي كان يشير بصورة واضحة إلى قدوم المسيح المخلّص أنكروه ولذلك أصبحت خطيتهم كبيرة جداً. وقال لهم المسيح: أما وأنتم تقولون الآن: إننا نبصر، فخطيتكم باقية.

أيها القارئ الكريم، ما هو موقفك من موضوعنا هذا ؟ هل تخال بأنك متمتع بنور روحي كاف وأن حياتك هي على أحسن ما يرام ؟ أم هل تشعر في قرارة نفسك بأنك كالأعمى الذي كان معاصراً للمسيح والذي احتاج إلى عمل المسيح الشفائي ليبصر ؟ ساعدك الله القدير لتؤمن بالمسيح كما كشف عن ذاته في الإنجيل المقدّس. فمن آمن بالمسيح المخلّص اختبر الحياة الأبدية وصار يعيش في نور المسيح. أما من رفض المسيح فإن دينونة الله واقعة عليه إن عاجلاً أو آجلاً، آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والحصول على النقود الخاصة المستعملة ضمن هيكل القدس. أتينا على ذكر هذا الموضوع لنفهم موقف المسيح من باعة الحيوانات والصيارفة الذين كانوا قد تواطؤوا مع رؤساء الكهنة واحتلوا أماكن هامة في ساحة الهيكل الخارجية ليقوموا بأعمالهم التجارية.

ذكر الرسول يوحنا في الفصل الثاني من الإنجيل أن المسيح يسوع صنع "سوطاً من حبال، وأخرجهم جميعاً من الهيكل مع الغنم والبقر، ونثر دراهم الصيارفة وقلب موائدهم. وقال لباعة الحمام: ارفعوا هذه من ههنا ولا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة. فتذكر تلاميذه أنه مكتوب: غيرة بيتك تأكلني."

قام المسيح بطرد الباعة والصيارفة من الهيكل لأنهم جعلوا من بيت الله وهو بيت الصلاة والعبادة، بيت تجارة وربح. وكان هذا ينافي تعاليم الشريعة والمعاني الرمزية الكامنة في جميع الذبائح المقدمة في الهيكل والتي كانت تشدد على هذا المبدأ الأساسي للديانة المقبولة لدى الله: "بدون سفك دم ليست هناك مغفرة الخطايا."

ما إن رأى تلاميذ المسيح عمل سيدهم التطهيري في الهيكل حتى تذكروا كلمات المزمور التاسع والستين حيث وردت هذه النبوة عن قدوم المسيح المخلص وعن شعوره تجاه بيت الله أو هيكله المقدس: "غيرة بيتك تأكلني." كان هيكل الله في القدس يشير في جميع طقوسه ورموزه وذبائحه إلى مجئ مسيح الله. لكن زعماء الدين في القدس كانوا قد تجاهلوا تعاليم الكتاب ومعنى رموز العبادة في الهيكل وصار همهم الأول أن يجمعوا الأموال لمنفعتهم الذاتية. وأدى هذا إلى ابتعاد الناس عن عبادة الله والوقوع في صنيمات متعددة الأشكال. وكذلك آلت الانحرافات في خدمة العبادة في هيكل القدس إلى خمود جذوة الرجاء المتمركز على وعد الله بقدوم المسيح إلى العالم وتنفيذه لبرنامج الله الخلاصي.

لم يقبل المتسلطون في القدس الدرس الهام الذي لقنهم إياه المسيح بل انتقدوه وطلبوا منه أن يقوم بمعجزة تبهر الأنظار. فقالوا له بعد طرده للباعة من ساحة الهيكل: "أية آية ترينا حتى تفعل هذا ؟ أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وأنا أقيمه في ثلاثة أيام. فقال اليهود: في ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه ؟ أما هو فكان يتكلم عن هيكل جسده. فلما قام من بين الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب وبالكلام الذي قاله يسوع."

كم من المؤسف أن زعماء الدين في القدس لم يتعلّموا الدرس الهام الذي لقّنهم إياه الرب يسوع المسيح أي أهمية قداسة بيت الله وتسهيل أمور العبادة للذين كانوا قد جاؤوا إلى القدس من قريب وبعيد. أظهر هؤلاء غلاظة قلوبهم عندما طلبوا من المسيح القيام بمعجزة وكأن قوته وعظمته لم تظهرا في عمله التطهيري. فما كان من المسيح إلا وأن قال لهم: "انقضوا هذا الهيكل وأنا أبنيه في ثلاثة أيام." لم يعن المسيح هيكل القدس بل هيكل جسده.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أشار المخلص في بدء سيرته التبشيرية همهم الوحيد منحصراً في استثمار مناصبهم للتسلّط على شعب الله. وذكر المسيح يسوع ثلاثة أمور هامة كان يعطيها لمن يأتون إلى الله بواسطته: الخلاص والحرية والغذاء الروحي: إن دخل بي أحد يخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى.

وتكلّم المسيح عن غاية مجيئه إلى العالم .فبخلاف المسحاء الكذبة الذين كانوا يضلّون الناس، كان المسيح قد جاء من السماء للقيام بمهمة فريدة: وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم الحياة، ولتكون لهم بوفرة. فالناس بحاجة إلى أكثر بكثير من مرشد روحي، إنهم بحاجة إلى مخلص ومحرر ومنقذ. جاء المسيح من السماء ليكون ذلك المخلص والمحرر والمنقذ. وبما أن مثل الباب وحظيرة الخراف لم يكن كافياً للتعبير عن كل ما أراد المسيح أن يعلمنا إياه، فإنه استطرد قائلاً:

أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف.

ذكرنا سابقاً أننا بحاجة إلى الخلاص. كيف يتم هذا الأمر الهام ؟ علّمنا المسيح أن ذلك يتم بواسطة بذل نفسه عن الخراف. تشير هذه الكلمات بكل وضوح وجلاء إلى أن المسيح كان ملماً كل الإلمام بأن مهمّته الرئيسية التي جاء لتنفيذها كانت تقتضي بذل نفسه أي موته نيابياً وكفارياً عنا نحن الخطاة والأثمة. نجد في كلمات المسيح هذه دليلاً واضحاً وقوياً على كونه عالماً كل العلم بأن مهمته الخلاصية كانت ستقوده في النهاية إلى الموت عنّا على صليب خشبي له أعداؤه خارج أسوار المدينة المقدسة. فالصليب إذن هو لب الإنجيل ولم يكن بأمر حدث للمسيح في لحظة أخيرة ومفاجئة. وعندما نأخذ تعاليم كلمة الله بعين الاعتبار علينا أن نقر بأن ظل الصليب كان مخيماً على المسيح يسوع منذ ولادته من مريم العذراء في بيت لحم.

اشتدت مقاومة زعماء اليهود للسيد المسيح بعد كلامه عن موضوع الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الرعية. فأحاطوا به وهو يعلّم في رواق سليمان ضمن هيكل القدس وقالوا له: حتى متى نترك أنفسنا معلّقة ؟ إن كنت أنت المسيح، فقل لنا جهراً ! قد تظهر هذه الكلمات بريئة، إلا أنها كانت بالحقيقة صادرة عن قلوب متحجرة. كان المسيح قد ابتدأ بالمناداة برسالة الإنجيل الخلاصية بعد معموديته من يوحنا بن زكريا الملقب بالمعمدان. وقد قام بمعجزات عديدة كشفاء المرضى وإطعام الآلاف من الناس من بضعة أرغفة خبز وسمكتين وإقامة الموتى. أشارت تعاليمه وأعماله الباهرة إلى أنه كان موفداً من الله لتتميم رسالته الخلاصية والفدائية. ومع كل ذلك فإن معاصريه من اليهود رفضوا قبوله وقالوا: إن كنت أنت المسيح، فقل لنا جهراً. فما كان من السيد المسيح إلا وأن أجابهم قائلاً:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إني قلت لكم ولستم تؤمنون. والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي، لكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي. إن خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها وهي تتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يختطفها أحد من يدي. وأبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يختطفها من يد الآب. أنا والآب واحد.

لم يكتف المسيح بالكلام عن رسالته بل قام بمعجزات باهرة لم يقم بها أحد منذ الخليقة. وقد صنع تلك الآيات لتكون بمثابة أوراق اعتماد سماوية تؤكد أن المسيح كان مرسلاً من الله وأن رسالته كانت رسالة خلاصية وانقاذية وفدائية. ولذلك قال له المجد: فإن كنتم لا تؤمنون بي فآمنوا بالأعمال لكي تعلموا وتعترفوا أن الآب فيّ وأنا في الآب.

حدث بعد هذه الأمور أن المسيح ذهب من القدس إلى عبر الأردن أي إلى شرقي نهر الأردن وأقام هناك. فأتى إليه كثيرون قائلين: إن يوحنا (أي يوحنا المعمدان بن زكريا الكاهن) لم يعمل آية قط، ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا الإنسان كان حقاً. فآمن به كثيرون. وكما حدث في تلك الأيام تمّ أيضاً على مرّ العصور وفي شتّى أصقاع الدنيا. فلقد نادى بالمسيح المخلّص خدّامه الأمناء فلاقوا الكثيرين من المعاندين والمضطهدين. ولكن وفد العديدون أيضاً إلى المخلّص المسيح وآمنوا به إيماناً قلبياً ملتصقين به كفادي نفوسهم. وهكذا انضموا إلى الرعيّة الواحدة وأمّنوا أنفسهم ومصيرهم الزمني والأبدي لراعيهم الواحد الصالح: يسوع المسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحرية في المسيح

فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إن أنتم ثبتم في كلامي فأنتم بالحقيقة تلاميذي، وتعرفون الحق والحق يحرّركم.

الإنجيل حسب يوحنا ٨: ٣١ و ٣٢

قال المسيح: أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة. أشار المسيح بكلماته هذه إلى أن الإنسان في حالته الحاضرة سائر في ظلام روحي دامس وأنه بحاجة ماسة إلى النور الكائن في المسيح. لم ترحب جماعة الفريسيين بهذه الكلمات الصريحة فقالوا للمسيح: أنت تشهد لنفسك فشهادتك ليست حقاً. أجاب يسوع المسيح وقال لهم: إني وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين آتيت وإلى أين أذهب، وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي ولا إلى أين أذهب. أنتم بحسب الجسد تدينون وأما أنا فلا أدين أحداً. وإن كنت أدين فدينونتي حق لأني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني. إنكم لا تعرفونني أنا ولا تعرفون أبي، لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً.

كانت هذه الكلمات شديدة اللهجة ولكن معاصري المسيح كانوا بحاجة إلى سماعها لأنهم كانوا قد خدعوا أنفسهم ظانين بأن حياتهم الروحية كانت على ما يرام لمجرّد انحدارهم من نسل ابراهيم واسحق ويعقوب. ونظراً لهذه التعاليم الصريحة التي تفوّه بها المسيح يسوع آمن به العديدون من الناس. فقال للذين آمنوا به: إن أنتم ثبتم في كلامي فأنتم بالحقيقة تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرّركم. وكان من المنتظر من الذين سمعوا هذه الكلمات أن يرحّبوا بها لكونها مبنية على الحق ولأنها أشارت إلى أهم موضوع في العالم ألا وهو الحرية والتحرر من ربقة الشيطان وعبودية الخطية العالقة بكل بشري. ولكن هؤلاء الذين كانوا قد آمنوا بالمسيح ايماناً سطحياً رفضوا تعليمه هذا عن الحرّية قائلين: نحن ذرّية ابراهيم ولم نستعبد قط، فكيف تقول أنت: إنكم تصيرون أحراراً ؟

وكم من المؤسف أن معاصري المسيح تفوّهوا بهذه الكلمات: لم نستعبد قط هل نسوا أن آباءهم استعبدوا إلى فرعون وإلى الآشوريين والبابليين والسلوقيين وأنهم كانوا في تلك الأيام رازحين تحت الاستعمار الروماني ؟ لم يكن المسيح قد تكلم عن الاستعباد بمفهومه السياسي بل أشار إلى ذلك الاستعمار الذي هو أشرّ من العبودية التي رزح تحتها بنو اسرائيل في الماضي. وهكذا استطرد المسيح قائلاً ومعلّماً:

الحق، الحق أقول لكم: إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. فإن حرّركم الابن صرتم في الحقيقة أحراراً. أنا أعلم أنكم من ذرية ابراهيم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا مقرّ له فيكم. أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي وأنتم أيضاً تعملون بما رأيتم عند أبيكم.

إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. هل رغب الذين آمنوا بالمسيح أن يقبلوا هذا التشخيص الواقعي لحالة الإنسان المحزنة ؟ وأنت أيها القارئ الكريم، ما هو موقفك من المحاورة التي جرت بين المسيح والبعض من معاصريه ؟ هل تقف مع المسيح أم مع الذين ناصبوه العداء ؟ هل تعترف بأن الذي يصنع أو يعمل الخطية هو عبد لها ؟

لم يكتف المسيح بالكلام عن الداء الذي يلازم الناس أجمعين بل أعطانا الدواء الشافي قائلاً: فإن حرّركم الابن صرتم في الحقيقة أحراراً. فالحرية هي في المسيح وبالمسيح. هذه هي الحرية الحقيقية التي يختبرها كل من آمن بالمسيح وثبت في كلامه المنعش. ما أعظم هذه الحرية ! إنها التحرّر من ربقة الخطية الكامنة في قلب كل انسان. ويا لها من كلمات هذبة ! وكم نصاب بدهشة كبيرة عندما نلاحظ الرفض القاطع لكلمات المسيح: إن أبانا هو ابراهيم. وادّعوا بأنهم كانوا سائرين على الطريق القويم الذي رسمه لهم ابراهيم الخليل.

لم يقبل المسيح هذا الادعاء الفارغ فقال: لو كنتم أبناء ابراهيم لعملتم أعمال ابراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، أنا انسان قد كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله، فهذا لم يعمله ابراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له: إننا لم نولد من زنى، وإنما لنا أب واحد وهو الله. قال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني من الله خرجت وأتيت، فإني لم آت من نفسي بل هو أرسلني. لماذا لا تفهمون كلامي ؟ ذلك لأنكم لا تستطيعون أن تسمعوا كلمتي. أنتم من أب هو ابليس وتريدون أن تعملوا شهوات أبيكم. فإنه كان من البدء قتّالاً للناس ولم يثبت على الحق لأنه لا حق فيه فإذا ما تكلّم بالكذب، فإنما يتكلّم بما عنده فإنه كذوب وأبو الكذب. أما أنا فلأني أقول الحق لا تصدّقونني. من منكم يثبّت علي خطيّة ؟ فإن كنت أنطق بالحق لماذا لا تصدّقونني ؟ من كان من الله يسمع كلام الله، فأنتم لا تسمعونه لأنكم لستم من الله.

هل تتعجب أيها القارئ العزيز من كلمات المسيح هذه ؟ هل تظن أن محبته للبشرية كانت تعني تجاهل حالة الناس الروحية المحزنة ؟ اذكر أن المسيح جاء إلى عالمنا هذا كمخلّص ولهذا دعي اسمه يسوع أي مخلص أو منقذ أو محرّر. ولكن إن وقف الناس من محرّرهم وقفة غير حميدة وأنكروا حاجتهم إلى الخلاص والحرّية والانعتاق، ألا يكونون ناسبين إلى المخلص المسيح الكذب لأنه كان قد علّمهم عن ضرورة التحرّر من الخطية، بينما كانوا بدون حاجة إلى الحرية ؟

تكلّم المسيح بصراحة فائقة ولكن معاصريه استمروا على عنادهم وقالوا للمسيح: ألسنا على صواب حين نقول أنك سامري وأن بك شيطاناً ؟ أجاب يسوع: أنا ليس بي شيطان، إنما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أكرم أبي وأنتم تهينونني. أنا لا أطلب مجدي فإنه يوجد من يطلبه ومن يدين. فالحق، الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد. فقال له اليهود: الآن علمنا أن بك شيطاناً، فقد مات ابراهيم والأنبياء وأنت تقول: إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد ! ألعلك أعظم من أبينا ابراهيم الذي مات ؟ والأنبياء أيضاً ماتوا ؟ فمن تجعل نفسك ؟ أجاب يسوع: إن كنت أمجد نفسي فليس مجدي بشئ، أبي هو الذي يمجّدني وهو الذي تقولون عنه أنه إلهكم. إن ابراهيم أباكم ابتهج أنه سيرى يومي فرأى وفرح. فقال له اليهود ليس لك بعد خمسون سنة أفرأيت ابراهيم ؟ قال لهم يسوع: الحق، الحق أقول لكم: قبل أن يكون ابراهيم، أنا كائن. فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل وجاز فيما بينهم ومضى.

جاء المسيح ليعلّم الناس ويشرح لهم رسالته الخلاصية التي اؤتمن عليها من قبل الله الآب. لكن الذين كانوا من بني جنسه والذين سمعوه بآذانهم ورأوا بأعينهم الآيات والمعجزات التي قام بها، لم يؤمنوا به بل نسبوا إليه التعاون مع الشيطان. ونحن لم نبحث في تعاليم الفصل الثامن من الإنجيل لمجرّد تنمية معرفتنا التاريخية أو لمجرّد انتقاد معاصري المسيح من سكان الأرض المقدّسة. غايتنا هي المناداة بكلمات المسيح المنعشة والمحرّرة. فسؤالي هو لكل قارئ وقارئة: هل اختبرتم الحرية الحقيقية التي تكلّم عنها المسيح ؟ من حرّره المسيح يسوع هو بالحقيقة حرّ طليق يكرّس حياته لخدمة الله وعبادته الطاهرة ولخير ورفاهية الناس أجمعين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخطية والغفران

فلما اعتدل يسوع ولم ير أحداً سوى المرأة، قال لها: يا امرأة، أين أولئك الذين يشتكون عليك ؟ ألم يحكم عليك أحد ؟ فقالت: لا أحد يا سيدي. فقال يسوع: ولا أنا أحكم عليك، اذهبي ولا تخطئي بعد.

الإنجيل حسب يوحنا ٨: ١٠ و١١

لا بد أن القراء الكرام لاحظوا أننا نتطرق للكلام في أكثر من مناسبة عن موضوع الخطية العالقة بالإنسان. ونتكلم أيضاً عن موقف الله من الخطية لأنها في لبّها معصية على شريعته تعالى. وكل تعدّ على الشريعة ينال القصاص والعقاب. لكننا لا نحصر كلامنا في موضوع الخطية والعقاب بل نشير أيضاً إلى الغفران الذي يمنحه الله لسائر الذين يتوبون عن غيّهم وضلالهم ويقبلون برّ المسيح الذي كسبه لنا عندما مات كبديل عنا على الصليب وقام في اليوم الثالث من بين الأموات.

سرد لنا الرسول في فاتحة الفصل الثامن حادثة المرأة التي أمسكت في خطية الزنى. قال زعماء اليهود من كتبة وفريسيين للمسيح: يا معلّم إن هذه المرأة أخذت في الزنى في ذات الفعل. وقد أمرنا موسى في الناموس (أي في الشريعة المدوّنة في كتاب التوراة) بأن مثل هذه ترجم. فماذا تقول أنت ؟ قالوا هذا ليجرّبوه ليكون لهم ما يشكونه به. أما يسوع فانحنى إلى أسفل وجعل يخطّ بإصبعه على الأرض.

لم تكن غاية الكتبة والفريسيين نبيلة أو شريفة عندما جاؤوا بالمرأة الزانية إلى المسيح وطلبوا منه أن يدلي باجتهاده في تفسير وتطبيق الشريعة الموسوية. وكانت هناك عند اليهود وفي أيام المسيح محاكم شرعية تعالج أمور الأحوال الشخصية وتبتّ في هكذا جرائم أخلاقية. أفهمنا يوحنا الرسول أن أعداء المسيح جاؤوا إليه بتلك القضية ليكون لهم ما يشكونه به. فانحنى المسيح إلى أسفل وجعل يخط بإصبعه على الأرض. وموقف المسيح هذا أي انحناؤه إلى أسفل وكتابة بعض الكلمات بإصبعه على الأرض، أشار إلى امتعاضه الكبير من موقف الزعماء الدينيين وعدم استعداده للإجابة على سؤالهم المفرض. ولما ألحوا عليه بالإجابة وقف وقال لهم: من كان منكم بلا خطيّة فليرمها بحجر أولاً.

كان زعماء اليهود في القدس يدّعون بأنهم حفظوا شريعة موسى أي أنهم كانوا يعيشون بطريقة منسجمة مع نصوصها في أمور الحلال والحرام. وكانوا يقفون موقف المتزمتين طالبين من السلطات الدينية في القدس وفي بقية أنحاء الأرض المقدسة بأن تشدد على أهمية تطبيق العقوبات المنصوص عليها في الشريعة. ولم يكن السيد المسيح من الداعين إلى نقض الشريعة أو جعلها بدون مفعول في حياة معاصريه. لكنه كان يرغب من الناس بأن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يفهموا ويختبروا غاية الشريعة وخاصة وصايا الله العشر التي تنظّم حياة المؤمنين والمؤمنات في بعديها العمودي والأفقي. (أعني بهاتين العبارتين أن الوصايا العشر تنظّم أولا أمور الدين والعبادة بين الله والإنسان وذلك في الوصايا الأربعة الأولى – وهذا ما ندعوه بالبعد العمودي للواجبات الدينية. بينما تنظّم الوصايا الستة الباقية علاقة الإنسان بجاره أو قرينه الإنسان – وهذا ما نسمّيه بالبعد الأفقي لمتطلبات الشريعة.)

أراد السيد المسيح بأن يشدّد على وجوب النظر إلى خطية كل بشري، تلك الخطية الكامنة في قلبه والمسيطرة على جميع نواحي حياته. لكن الناس لا ينظرون عادة إلا إلى خطايا ومعاصي وزلات الآخرين ! أخطأت تلك المرأة فجاؤوا بها إلى المسيح طالبين منه أن يعطي كلمته في العقاب الذي يصاحب خطية الزنى.ولم يكن المسيح ليقلل من بشاعة أو خطورة تلك الخطية، لكنه أراد أن يسلط هؤلاء المتدينون نور الشريعة الإلهية على أنفسهم وليس فقط على خطايا الآخرين. وهكذا تفوّه المسيح بهذه الكلمات الشهيرة: من كان منكم بلا خطية فليرمها بحجر أولاً.

لم يبرّر المسيح المرأة الزانية بمعنى أنه لم يقلّل من خطورة خطيّتها ولم ينظر إلى تلك الخطية وكأنها أمر اعتيادي كما يقوم بذلك العديدون من معاصرينا والذين لا يؤمنون بتعاليم الشريعة الإلهية التي تأمرنا بالعفّة والطهارة الجنسية. لفت المسيح أنظار المشتكين على المرأة الزانية إلى أن اهتمامهم الأوّلي كان يجب أن ينحصر في خطاياهم ومعاصيهم وآثامهم. ومن منهم لم يكن قد ارتكب خطية جنسية إن لم يكن بالفعل فعلى الأقل بالفكر والتصوّرات الشهوانيّة ؟

ما أن سمعوا كلمات المسيح هذه حتى صارت ضمائرهم توبّخهم فطفقوا يخرجون واحداً فواحداً من الشيوخ إلى الآخرين. عملت كلمات المسيح التيكيتيّة عملها المنعش فشعر الفريسيّون والكتبة في قرارة قلوبهم أنهم كانوا خطاة وأثمة وأنهم لم يكونوا أحسن حالاً من المرأة الزانية.

كتب الرسول يوحنا قائلاً: وبقي يسوع وحده وتلك المرأة قائمة في الوسط. فلما اعتدل يسوع ولم ير أحداً سوى المرأة قال لها: يا امرأة، أين الذين يشتكون عليك ؟ ألم يحكم عليك أحد ؟ فقالت: لا أحد يا سيّدي. فقال يسوع: ولا أنا أحكم عليك، اذهبي ولا تخطئي بعد.

اذهبي ولا تخطئي بعد ! الخطية والغفران. اعترفت المرأة بخطيّتها. هذه هي الخطوة الأولى في حياتها الجديدة. الاعتراف القلبي بالخطية. لم تدع تلك المرأة قائلة: إنني لم أخطئ، ولم تقل كما يقول العديدون من معاصرينا أن خطية الزنى وغيرها من الخطايا الجنسية ليست بخطية فيما إذا ما قام بها الناس بكل حرّية وعفوية ! لم تتفلسف المرأة الزانية ولم تقلل من جرمها الأخلاقي. اعترفت بخطيتها وسمعت بعد ذلك كلمات المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العذبة: ولا أنا أحكم عليك. لكن هذه الكلمات لم تكن الوحيدة التي تفوّه بها السيد المسيح بل استطرد قائلاً بسلطة ذلك الذي جاء من السماء لتتميم الشريعة في حياته بصورة تامة ومطلقة وبهدف التكفير عن خطايا البشر: اذهبي ولا تخطئي بعد.

علّمنا المسيح بواسطة هذه الكلمات تعليماً جوهرياً وهو يعدّ من لبّ الإنجيل. جاء له المجد من السماء ليبني لنا صرحاً وطيداً وأساساً جباراً للغفران. فنحن بني البشر، بغض النظر عن أصلنا وفصلنا، بحاجة ماسة إلى الغفران. يقدّم لنا المسيح غفرانه المجاني وذلك بناء على ما قام به من أجلنا عندما ذهب عنا إلى الصليب ومات مكفّراً عن خطايانا. لكن عقيدة الغفران المجاني المبنية على موت المسيح الكفاري على الصليب لا تعني التساهل مع الخطية أو تناسيها أو الانغماس فيها. ترنّ كلمات المسيح في عالمنا هذا عبر القرون المتتالية: اذهبي ولا تخطئي بعد. يولّد الغفران المجاني الذي ننادي به في انجيل الله المقدس، الحياة الجديدة التي تدور في فلك محبة الله ومحبة القريب الإنسان. ومحبة الله ومحبة القريب تعني الامتناع عن الخطايا ولا سيما عن الخطايا الجنسية المتفشية بين أهل القسم الأخير من القرن العشرين.

مأساتنا اليوم هي أننا نتجاهل فداحة الخطية ولا سيما الخطايا الجنسية التي عاثت بالأرض فساداً وانتشرت نظراً لتكاثر المشاهد الخلاعية في دور السينما وعلى شاشات التلفزيون وبواسطة الفيديو. وإن تمادينا في تجاهل خطورة الخطايا الجنسية فإنها ستتغلّب علينا وتطاردنا وكأنها الطاعون من طراز جديد. لا فلاح ولا نجاة إلا إذا اعترفنا أمام الله خالقنا بفداحة حالتنا الروحية والأخلاقية وهرعنا إلى المسيح يسوع المخلّص الذي جاء من السماء ليقضي على الخطية وليحررنا من عبوديتها الغاشمة وليمنحنا الغفران المجاني. من آمن بالمخلّص المسيح اختبر الغفران والسلام مع الله كما اختبرت المرأة الزانية التي قال لها المسيح بعد أن هرب المشتكون عليها: ولا أنا أحكم عليك، اذهبي ولا تخطئي بعد. آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الماء الحي

"وفي اليوم الأخير من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليأت إليّ ويشرب. من آمن بي فكما قال الكتاب: ستجري من جوفه أنهار ماء حيّ. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به يوشكون أن يقبلوه، لأن يسوع لم يكن بعد قد مجّد."

الإنجيل حسب يوحنا ٧: ٣٧ – ٣٩

عندما نبحث في احتياجات الإنسان المعاصر تفكّر في كثير من الأحيان بموضوع الغذاء. وهذا أمر هام للغاية لأن الإنسان يحتاج إلى القوت اليومي ليعيش حياة مثمرة. ومن البديهي أن المواد الغذائية المتعدّدة ترجع في أصلها إلى الزراعة وهذه بدورها لا تحدث بدون الماء. وبعبارة أخرى الماء ضروري للزراعة ولحياة الإنسان والحيوان. وعندما نلقي نظرة خاطفة على تاريخ البشرية منذ القديم، نلاحظ أن نشوء الحضارات كان مدينا لوجود الماء بوفرة كما نلاحظ مثلاً في تاريخ كل من بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) وفي وادي النيل.

ومع أهمية الماء الطبيعي للحياة البشرية إلا أن الإنسان ليس بكائن مادي محض،فله جسد وهذا يربطه بالطبيعة وبالأرض التي يعيش عليها؛ وله روح وهذا ما يرفعه عن الأرض والنبات والحيوان. هذا لا يعني أن الجسد والروح يجعلان من الإنسان كائنا مزدوج الشخصية، بل يبقى الإنسان فرداً أو شخصاً واحداً أو ذا شخصية واحدة. لكن احتياجاته هي جسدية ومادية من ناحية وروحية من ناحية أخرى. وهكذا يضلّ أولئك مادية فقط والذين يقومون بذلك قد وقعوا تحت تأثير الفلسفات الدهرية المنكرة لله والتي أثّرت على عالمنا في كل من القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وبالرغم من ضراوة هجوم الأيديولوجيات الإلحادية على الإيمان بالله، يبقى الإنسان بحاجة ماسة إلى إشباع نفسه وإروائها من ينابيع فوق طبيعية أي من ينابيع الوحي الإلهي.

ولقد وصلنا الآن إلى الفصل السابع من الإنجيل حسب يوحنا حيث أظهر المسيح نفسه كالينبوع الحقيقي للماء الحي. وكانت المناسبة عيد المظال الذي كان يحتفل به سنوياً في شهر تشرين الأول / أكتوبر. وكان بنو إسرائيل يحيون ذكرى خروجهم من أرض مصر وذلك بإقامة المظال التي ذكرتهم بطريقة معيشة آبائهم في أيام موسى النبي أثناء تجوالهم في برية سيناء.

لم يرغب المسيح يسوع بأن يظهر نفسه علناً في ذلك العيد وخاصة في مدينة القدس لأن وقته لم يكن قد حان. وفي منتصف العيد، صعد المسيح إلى الهيكل وأخذ يعلّم. فكان اليهود يتعجّبون قائلين: كيف يعرف هذا الإنسان الكتب وهو لم يتعلّم ؟ فأجابهم يسوع وقال: " إن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني." أي أن المسيح كان قد استلم تعليمه من الله الآب. واستطرد يسوع قائلاً للجموع في هيكل القدس: " إن أراد أحد أن يعمل مشيئته (أي إرادة الله) فسيعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم به أنا من نفسي." أظهر المسيح بكلماته هذه أن الذين ناصبوه العداء لم يكونوا بالحقيقة من أتباع موسى ولا من السائرين على تعاليم التوراة التي لم إلى الشريعة الإلهية. وكان اضطهاد المسيح قد ابتدأ عندما شفى إنسانا مفلوجا ومقعدا في يوم السبت. اتهموا المسيح بكسر الوصية الرابعة التي تأمر بحفظ يوم الراحة الأسبوعي والذي كان آنئذ يوم السبت.

وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليأت إليّ ويشرب. من آمن بي فكما قال الكتاب: ستجري من جوفه أنهار ماء حيّ. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به يوشكون أن يقبلوه فإن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد، لأن يسوع لم يكن بعد قد مجّد.

وكلمات المسيح هذه لا زالت تدوي في أصقاع العالم المختلفة حيثما ينادي بانجيله الخلاصي. إن عطش أحد فليأت إليّ ويشرب. أيها القارئ الكريم، هل اكتفيت بما يعطيك العالم من أمور زائلة لا تروي الغليل ؟ هل اتكلت على فلسفة ما أو نظرة حياتية ادّعت بأنها سوف تحلّ جميع مشاكل ومعضلات حياتك ؟ لا بد لك من أن تكتشف، إن عاجلاً أو آجلاً، أن ما يستنبطه العقل البشري المحدود لا يكفي. ولا يروي الغليل. أما الذي يؤمن بيسوع المسيح وبرسالته السماوية والخلاصية التي أتمّها له المجد بموته على الصليب وبقيامته الجبّارة من بين الأموات، ستجري من جوفه أنهار ماء حي. لم يعن المسيح بهذه الكلمات أن المؤمن به يضحي مستقلاً كل الاستقلال عن ينابيع الحياة السماويّة، ولم يعلمنا أن الإنسان ذاته يصبح ينبوع الماء الحيّ. وقد شرح لنا يوحنا الرسول بوحي من الله كلمات المسيح هذه قائلاً: يوشكون أن يقبلوه. فإن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد، لأن يسوع لم يكن بعد قد مجّد." أشارت هذه الكلمات إلى حلول الروح القدس الذي أرسله المسيح المنتصر بعد خمسين يوما من قيامته من بين الأموات. جاء الروح القدس من السماء ليسكن في جماعة الإيمان ويطبّق في حياتهم الخلاص الجبّار الذي قام به المسيح. أصبح روح الله القدوس الروح المحيي الذي يجعل من كلمات الوحي المدوّنة في الكتاب المقدّس الدافع الديناميكي المسيّر لحياة الإنسان الخالص بطريقة تشبه جريان المياه العذبة من ينبوع ماء حيّ !

وكم من المؤسف أن ليس جميع الذين سمعوا كلمات المسيح هذه في هيكل الله بالقدس آمنوا. فقد كتب يوحنا عن هذا الموضوع قائلاً: "وإذ سمع هذا بعض من الجمع قالوا: هذا في الحقيقة هو النبي ! وقال آخرون: هذا هو المسيح ! وقال غيرهم: ألعل المسيح يأتي من الجليل ؟ ألم يقل الكتاب أن المسيح يأتي من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فيها ؟ فوقع انشقاق في الجمع بسببه. وأراد قوم منهم أن يقبضوا عليه ولكن لم يلق أحد عليه يداً."

طبعاً كان المسيح قد ولد في بيت لحم بالقرب من القدس ولكنه لم يبق فيها لأن هيرودس الملك الطاغية والذي كان صنيعة رومية، حاول أن يقتله. ولذلك لجأ كل من الطفل يسوع ويوسف ومريم إلى مصر وسكنوا فيها لعدة سنوات. وعندما مات هيرودس عاد المسيح مع أمه ويوسف إلى الأرض المقدّسة ولكنهم لم يسكنوا في بيت لحم بل ذهبوا إلى مدينة الناصرة في إقليم الجليل.

ومع كل ما قام به المسيح يسوع من تعاليم تصحيحية ومعجزات، فإن العديدين من سكان القدس وغيرهم من أهل فلسطين لم يؤمنوا به بل حاولوا القضاء عليه. ولكنهم لم ينجحوا في ذلك في بدء سيرته العلنية بل ثابر المسيح على تتميم برنامج الله الخلاصي الذي كان سيصل إلى غايته على الصليب.

أيها القارئ العزيز، ما هو موقفك من المسيح يسوع الذي كشف عن نفسه على صفحات الكتاب المقدس ؟ هل قبلته كمخلّصك من الخطية ؟ اذكر الكلمات التي دونها لنا يوحنا الرسول والتي اقتبسناها في بدء هذه العظة. كل من آمن بالمسيح ستجري من جوفه أنهار ماء حيّ، هذا هو وعد المسيح يسوع. وما وعد به المخلّص لا بد من أن يتحقّق، آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اتبعني

الإنجيل حسب يوحنا ٢١

من أهم الأسئلة التي تجابهنا في الحياة هي: ما هو هدف الحياة؟ وما معنى الوجود؟ ما أكثر الناس الذين لا يعلمون لماذا وجدوا على الأرض أو لماذا كتب عليهم بأن يتعذبوا ويتألموا. أضحت الحياة المعاصرة فريسة للروتينية المملة وكأن الإنسان صار شبه آلة تدور على نفسها بملل وضجر قاتلين. يا ترى من ينقذنا من هذه الدوامة ومن يحررنا من اللامعنى الذي يحيق بنا من ساعة نهوضنا حتى نومنا؟

ليس للحياة هدف أو معنى فيما إذا ما أخذنا النظرة الحياتية السائدة بين العديدين من معاصرينا ألا وهي الفلسفة المادية الإلحادية. ولكننا إذا تسلحنا بالإيمان القويم الذي يعترف بسيادة الله على التاريخ البشري وقبلنا تعاليم الوحي الإلهي المدونة في الكتاب المقدس، نقدر آنئذ أن نجابه الحياة وصعوباتها المتكاثرة باليقين التام أن الفشل لن يكون نصيبنا بل تضحي حياتنا جزءاً من البرنامج الإلهي للتاريخ.

وبإمكاننا رؤية تطبيق هذا المبدأ الحياتي في اختبارات تلاميذ السيد المسيح في الأيام التي تلت قيامته من بين الأموات. وقد سرد لنا الرسول يوحنا في الفصل الحادي والعشرين من الإنجيل حادثة ظهور المسيح الظافر لبعض تلاميذه عند بحر طبرية أو بحر الجليل في شمالي البلاد المقدسة. وكان تلاميذ المسيح يعيشون في فراغ روحي نظراً لعدم تفهمهم لمعنى الحياة في ضوء قيامة المسيح يسوع. فظهر لهم المسيح وعلَّمهم درساً هاماً ألا وهو وجوب وضع جميع أعمالنا وبرامجنا الحياتية ضمن إطار ملكوت الله.

وبعد هذا (أي بعد ظهور المسيح لتلاميذه في مناسبتين مختلفتين) أظهر يسوع نفسه أيضاً للتلاميذ عند بحر طبرية. وظهر هكذا: كان سمعان بطرس وتوما الذي يدعى التوأم ونثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه قد اجتمعوا معاً. فقال لهم سمعان بطرس: أنا ذاهب لأصطاد. قالوا له: ونحن أيضاً نذهب معك. فخرجوا وركبوا القارب ولم يمسكوا في تلك الليلة شيئاً. وعند إقبال الصبح وقف يسوع على الشاطئ ولم يعلم التلاميذ أنه يسوع. فقال لهم يسوع: أيها الفتية هل عندكم شيء من سمك؟ أجابوه: لا. فقال لهم: ألقوا الشبكة على جانب القارب الأيمن فتجدوا. فألقوها فلم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك. فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس: إنه الرب. فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب ائتزر بثوبه لأنه كان عرياناً وألقى نفسه في البحر. وأما التلاميذ الآخرون فجاؤوا بالقارب فإنهم لم يكونوا بعيدين عن الشاطئ إلا نحو مئتي ذراع وهم يجرون شبكة السمك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ففي الأيام التي سبقت حلول الروح القدس على التلاميذ وعلى الكنيسة المسيحية، كان تلاميذ المسيح يعيشون بدون هدف معين وحتى محاولتهم لصيد السمك باءت بالفشل. فظهر لهم المسيح ليعلمهم بأنه حتى في الأمور الاعتيادية التي تصاحب حياتنا اليومية علينا ألا ننظر إليها وكأنها بدون معنى أو قيمة. لكل شيء قيمته ضمن برنامج ملكوت الله. ومن جعل حياته سائرة ضمن إطار الملكوت الإلهي يعلم علم اليقين أنها تكتسب أهمية كبرى لأن أفقها ليس منحصراً بهذه الدنيا الفانية بل يتعداها واصلاً إلى الأبدية. وقد بارك المسيح عمل تلاميذه فجروا شبكة مليئة بالسمك وجهَّز لهم فطوراً شهياً من خبز وسمك مشوي. وبعد أن سد حاجتهم المادية لقنهم درساً لم ينسوه حتى آخر نسمة من حياتهم. قال المسيح لبطرس: اتبعني.

فبعد ما أفطروا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يوحنا أتحبني أكثر من هؤلاء؟ فقال له: نعم يا رب، أنت تعلم أني أحبك. قال له: ارع حملاني! ثم قال له ثانية: يا سمعان بن يوحنا أتحبني؟ قال له: نعم يا رب أنت تعلم أني أحبك. قال له: ارع غنمي! قال له ثالثة: يا سمعان بن يوحنا أتحبني؟ فاغتمَّ بطرس لأنه قال له ثالثة: أتحبني. وقال له: يا رب أنت تعلم كل شيء أنت تعرف أني أحبك. قال له ارع غنمي.

ردد المسيح سؤاله لبطرس لأن هذا الأخير كان قد أنكر سيده وربه ثلاث مرات. وبعد أن اعترف بطرس بمحبته الفائقة لمخلصه المسيح ثلاث مرات وبعد أن أخذ الأمر الرباني بأن يرعى حملان وغنم جماعة الإيمان قال له المسيح:

الحق الحق أقول لك: إنك لما كنت شاباً كنت تمنطق نفسك وتمشي حيث تشاء لكنك متى شخت فستمد يديك وآخر يمنطقك ويذهب بك حيث لا تشاء. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يمجد الله بها. ولما قال هذا قال له تبعني.

كيف كان بطرس سيتبع المسيح وهو على وشك أن يترك دنيانا عائداً إلى السماء ليجلس عن يمين عرش الله الآب؟ ما معنى كلمة اتبعني؟ عندما ندرس سيرة بطرس وغيره من رسل المسيح نلاحظ أنهم اخذوا بشارة الإنجيل الخلاصية ونشروها في سائر أنحاء الأرض المقدسة وفي بقية البلاد المتوسطية. لم يحجموا عن القيام بذلك الأمر الهام بالرغم من الصعوبات العديدة التي أحاطت بهم. اتِّباع المسيح يسوع كان يعني القيام بما أناط بهم المسيح من أعمال تبشيرية والعيش بطريقة متجانسة مع رسالة الإنجيل الخلاصية والتحريرية. ونعلم من بقية أسفار العهد الجديد ومن تاريخ الكنيسة المسيحية في العصر الرسولي أن بطرس جاهد في سبيل نشر الدعوة الإنجيلية وانه لقي حتفه في أيام اضطهاد الطاغية نيرون للمسيحيين عندما صلب بطرس في مدينة رومية ومات كشهيد أمين لربه يسوع المسيح ولرسالة الإنجيل الخلاصية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعندما وصل الرسول يوحنا إلى نهاية الإنجيل أي الخبر المفرح عن سيرة المسيح يسوع وعما قام به له المجد لإنقاذنا نحن البشر من استعمار الخطية ومن طغيان الشر المسيطر علينا، كتب هذه الكلمات الختامية:

هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذه الأشياء وهو الذي كتبها ونعلم أن شهادته حق. وأن أشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع لو أنها كتبت واحدة واحدة لما ظننت أن العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة، آمين.

ونشكر الله ونحمده لأنه ساعدنا على نشر هذه الكتب المبنية على تعاليم الإنجيل حسب يوحنا. وهدفنا كان ولا يزال ألا نكتفي بالوقوف على أهم حوادث سيرة المسيح. يتطلب منا الله بأن نضع ثقتنا القلبية بمن مات عنا وقام في اليوم الثالث لنحصل على غفرانه المجاني. فإن اكتفينا بالإطلاع على محتويات الإنجيل ولم نعمل بمتطلباته نكون قد حرمنا أنفسنا من الخلاص العظيم الذي أتمه لصالحنا مخلص البشرية الأوحد: يسوع المسيح. وإذ ذاك تبقى حياتنا بدون هدف معين وتضحي فريسة لسائر قوى لشر والظلام وخاصة في أيام السنين الأخيرة من القرن العشرين ساعدنا الله جميعاً لنكون من المرحبين بالمسيح يسوع كما كشف عن ذاته في الإنجيل حسب يوحنا آمين.

دعاء للحصول على القوة اللازمة للصمود وجه التجارب:

"وأما منتظرو الرب فيجدون قوة" نبوة اشعياء الفصل ٤٠ والعدد ٣١

أللهم مصدر كل قوة، أتقدم إليك وأنا شاعر بما في من ضعف وعجز. آتي إليك وأنا مقيد بسلاسل الخطية، خائر العزم بما لقيت من خيبة وفشل. أرى قوَّات الشرير في داخلي وحولي. تغرر بي الدنيا وليس لي قدرة على المقاومة وليست لدي قوة للعمل بمشيئتك. ألتجئ إليك يا ربي لأنك أنت خالقي وعليم بكل أمور حياتي. أومن أنك أنت القدير، فهبني في هذا اليوم قوة الإرادة لأتغلب على كل تجربة تعترض سبيلي ولأتمم جميع الواجبات المترتبة علي.

ربي، أريد أن أحيا حياة الانتصار، حياة الفرح بقوتك والنصر بمعونتك. آتي إليك يا الهي المحب لأنال النعمة الكافية لتتميم مسيرتي في هذه الدنيا. اسمعني واستجب لي إكراما لربنا ومخلصنا يسوع المسيح، آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قيامة المسيح

الإنجيل حسب يوحنا ٢٠

يجابه الإنسان الموت منذ ولادته. ما أكثر المخاطر التي تعترض سبيل الطفل المولود حديثاً وما أكثر الذين لا يرون عامهم الثاني! وحتى عندما ننجو من أمراض الطفولة نجابه الأخطار الكثيرة من أمراض وأوبئة وحوادث اصطدامات التي تودي بحياة الآلاف من بني البشر. زد على ذلك أخطار الحروب، الكبيرة منها والصغيرة، والتي فتكت ولا تزال تفتك بحياة البشر وكأنهم مخلوقات بدون قيمة أو أهمية!

ونظراً لانتشار الفلسفات الإلحادية في عالمنا صار العديدون من الناس يخالون بأن الموت هو سنة الوجود وأنه من الطبيعي أن تنتهي حياة الإنسان بالموت، إن عاجلاً أو آجلاً.

لكن الموت ليس من صلب طبيعة الإنسان والله لم يخلق الإنسان ليكون مهدداً بالموت في جميع أيام حياته. يعطينا الوحي الإلهي تعليماً هاماً للغاية في توراة موسى عن موضوع خليقة الإنسان. وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم.

ليس الموت أمراً ملازماً لتكوين الإنسان. الموت طارئ وفد على جسم البشرية نظراً لعصيان آدم وحواء على الله في فجر التاريخ. ولم يكتف الوحي الإلهي بالكلام عن الخليقة والسقوط في الخطية ودخول الموت إلى العالم. بشرنا الوحي الإلهي منذ فجر التاريخ بذلك العمل الإلهي الجبار والذي يدعى بالفداء والذي كان سيتممه مرسل الله أي مسيح الله في ملء الزمن. وهكذا يمكننا القول بأن جميع أسفار الوحي في أيام ما قبل الميلاد تمركزت في تلك النبوات التي نادت بقدوم المسيح للقيام بعمل خلاصي وفدائي حاسم لصالح البشرية المعذبة والساقطة في حمأة الشر والخطية. وفي الوقت المعين من الله جاء المسيح مولوداً من العذراء مريم وعلَّم الجموع وشفى المرضى وأقام الموتى. ولم يرحب به زعماء إسرائيل الدينيين ولا برسالته الخلاصية بل طلبوا من المستعمر الأجنبي بأن يعدم المسيح صلباً. ولم يبق السيد المسيح تحت سلطة الموت بل قام في اليوم الثالث، قام منتصراً على الموت والخطية والشيطان.

تشكل هذه الحقيقة التاريخية لب الإنجيل المقدس. فإن لم يكن المسيح قد قام من بين الأموات لما كان هناك نبأ سار أو خبر مفرح ننادي به في عالم الشقاء والعذاب. لندع الرسول يوحنا يخبرنا عن أولئك الذين واللواتي اكتشفوا حقيقة قيامة المسيح يسوع:

وفي اليوم الأول من الأسبوع، جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً، والظلام ما زال باقياً فنظرت الحجر (أي الحجر الذي كان على باب القبر المنحوت الذي دفن فيه المسيح في يوم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجمعة) فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر! فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما: لقد أخذوا الرب من القبر ولا نعلم أين وضعوه.

ظنت مريم المجدلية بأن جسد المسيح كان قد أخذ ليوضع في قبر آخر ولم تتذكر كلمات المسيح التي كان قد تفوه بها عن صلبه وموته قيامته من بين الأموات. وما إن سمع التلميذان بهذا الخبر حتى أخذا بالركض متجهين نحو القبر. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء إلى القبر أولاً وانحنى فنظر لفائف الكتان موضوعة هناك ولكنه لم يدخل. ثم جاء أيضاً سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر لفائف الكتان موضوعة والمنديل الذي كان على رأسه غير موضوع مع لفائف الكتان بل ملفوفاً في موضع على حدته. فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء إلى القبر أولاً ورأى فآمن. فإنهما لم يكونا بعد يعرفان الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من بين الأموات. ثم رجع التلميذان إلى بيتهما.

من الواضح ونحن نتأمل في كلمات الرسول يوحنا المدونة في الإنجيل أنه بالرغم من تعاليم المسيح عن موته وقيامته فإن تلاميذه وأتباعه لم يتوقعوا حدوث ذلك. وعندما مات المسيح على الصليب ظنوا بأن رسالته قد باءت بالفشل الذريع. لكنهم كانوا مخطئين وذلك لأنهم لم يعرفوا الكتاب أي كتاب الله المقدس الذي علَّم بأن المسيح المنتظر كان سيفد العالم ليموت عنا نحن البشر مكفراً عن خطايانا. ولم يبق تحت سلطة الموت بل قام في اليوم الثالث من بين الأموات.

ونظراً لاضطراب كل من بطرس ويوحنا فإنهما أهملا مريم المجدلية التي كانت قد عادت إلى القبر وكانت واقفة تبكي ظانة بأن جسد المسيح كان قد نقل إلى مكان مجهول. وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر فرأت ملاكين بثياب بيض جالسين حيث كان جسد يسوع موضوعاً، أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين. فقالا لها: يا امرأة، لماذا تبكين؟ قالت لهما: لأنهم أخذوا ربي ولا أعلم أين وضعوه! قالت هذا والتفتت إلى الوراء فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع. فقال لها يسوع: يا امرأة، لماذا تبكين؟ من تطلبين؟ فهي إذ ظنت أنه البستاني قالت: يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه. قال لها يسوع: يا مريم! فالتفتت وقالت له بالعبرانية: رابوني! ومعناه يا معلم! قال لها يسوع: لا تمسكي بي فإني لم أصعد بعد على الآب. لكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ قائلة: إني رأيت الرب وأنه قال لها هذا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أناط المسيح يسوع الظافر بمريم المجدلية موضوع إخبار تلاميذه عن قيامته من بين الأموات. فقامت بواجبها ونشرت هذا الخبر المفرح. ولم يكتف المسيح بظهوره لمريم بل ظهر أيضاً في مساء يوم الأحد لأكثرية تلاميذه. كتب الرسول يوحنا كشاهد عيان قائلاً:

وفي مساء ذلك اليوم وهو اليوم الأول في الأسبوع، جاء يسوع، والأبواب حيث كان التلاميذ مغلقة خوفاً من اليهود، ووقف في الوسط وقال لهم: السلام لكم! ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه. ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب. فقال لهم يسوع ثانية: السلام لكم! كما أن الآب أرسلني كذلك أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، فمن غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت.

لم يتوقع تلاميذ المسيح قيامته من بين الأموات. وكانوا في خوف عظيم من اليهود وكانت جميع أحلامهم قد تبددت وظهر لهم المستقبل وكأنه بدون أي رجاء. فظهر لهم المسيح وبدد شكوكهم وأمرهم بالذهاب إلى العالم للمناداة بخبر الإنجيل المفرح!

لكن تلميذاً واحداً لم يكن حاضراً في مساء أحد القيامة وكان اسمه توما. فلم يكن معهم حين جاء يسوع. فقال له التلاميذ الآخرون: لقد رأينا الرب. أما هو فقال لهم: إن لم أر أثر المسامير في يديه وأضع إصبعي في موضع المسامير وأضع يدي في جنبه فلن أؤمن. وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً في الداخل ومعهم توما فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال: السلام لكم! ثم قال لتوما: هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً. أجاب توما وقال له: ربي وإلهي! قال له يسوع: لأنك رأيتني يا توما آمنت؟ طوبى للذين يؤمنون ولم يروا.

قيامة المسيح من بين الأموات هي حجر الزاوية في نظام الإيمان الكتابي. فجميع ما قام به المسيح يسوع أثناء حياته على الأرض من تعاليم ومعجزات صادق عليها الله الآب عندما أقام المسيح يسوع من بين الأموات. وهكذا نواجه الحياة بدون خوف أو وجل. يتبعنا الموت عدونا اللدود في جميع أيام حياتنا، ولن يظفر بنا هذا الخصم لا لأننا سنقوم بمحاولات هرقلية للتغلب علي بل لأننا وضعنا ثقتنا في يسوع المسيح المنتصر على الموت على الموت والجالس عن يمين عرش العظمة. يشفع بنا فادينا ليلاً ونهاراً. ومن آمن بالمسيح الذي قام من بين الأموات ينظر إلى المستقبل بمنظور واقعي وانتصاري. ومهما كثرت متاعب الحياة ومهما اضطرب جوها يبقى النصر حليف المؤمن لأن المسيح وعد بألا يسمح له بأن يكون من الخاسرين.

سرد لنا يوحنا الحوادث التاريخية المختصة بمحاكمة المسيح وصلبه وقيامته لا لمجرد إنماء معرفتنا بالتاريخ القديم بل ليساعدنا على اتخاذ أهم قرار في حياتنا أي الإيمان بيسوع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح كما كشف عن ذاته في الكتاب. فقد وردت في نهاية الفصل العشرين من الإنجيل هذه الكلمات:

وقد صنع يسوع آيات أخرى كثيرة أمام التلاميذ لم تدون في هذا الكتاب. وأما هذه فقد دونت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي يكون لكم –إذا آمنتم- الحياة باسمه.

لقد أثرت الفلسفات الإلحادية المعاصرة على الكثيرين من البشر وخاصة في موقفهم من موضوع الحياة والموت. والذين رفضوا مسبقاً عقيدة الله الخالق جعلوا من الموت عاملاً تكوينياً في طبيعة الإنسان. وبكلمة أخرى لسان حالهم أن الإنسان وجد ليموت. لكننا إذا تحررنا من عبودية الإلحاد المعاصر وأصغينا إلى الوحي الإلهي تأكدنا من هذه الحقيقة الناصعة بأن الموت لم يكن جزءاً من تكويننا البشري بل ولج إلى جسم البشرية بسبب عصيان آدم على الله في فجر التاريخ. ولم يسمح الله لتاج الخليقة بأن يصبح فريسة لليأس والقنوط وللموت الأكيد بل عمل لنا خلاصاً عظيماً في حياة وموت وقيامة المسيح. ومع كثرة المخاطر التي تهدد حياتنا في السنين الأخيرة من القرن العشرين وبالرغم من تفنن الإنسان المعاصر في مقدرته على الفتك بأقرانه البشر إلا أن المؤمن ينضم إلى الرسول بولس ويشهد قائلاً:

فإني لموقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رئاسات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا قوات ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا. آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

موت المسيح على الصليب

الإنجيل حسب يوحنا ١٩: ٢٣-٤٢

من البديهي أن يرغب الإنسان في قرارة قلبه بأن يفهم أمور الحياة التي يحياها. وعلاوة على ذلك، يحاول الإنسان أن يفهم المواضيع التاريخية التي كان لها تأثير كبير على حياة البشرية منذ فجر التاريخ. مثلاً إن تفحصنا تاريخ الشعوب نلاحظ أن البعض عوملوا بطريقة تخالف قوانين العدل والاستقامة. مثلاً حوكم سقراط متهماً بجريمة إفساد عقول الجيل الناشئ وأعطي سماً ليقضي على حياته مع أنه كان من أعظم مفكري وفلاسفة الإغريق. فإن حاولنا أن نفهم قضيته قد نأتي ببعض التفاسير التي تشرح لنا ما حدث له وفيما إذا كان من الممكن له بأن يتجنب ذلك الموت المريع. ولكن الحقيقة التاريخية الناصعة هي أن سقراط مات كضحية لتعنُّت وتزمُّت معاصريه ولعدم انفتاحهم لرؤية حياتية مختلفة عن تلك التي كانوا يتعلقون بها. نحن مهما جاهدنا لن نفلح في تغيير الماضي ولذلك يجدر بنا أن نقبل حوادث التاريخ كما جرت.

وهكذا عندما ندرس سيرة المسيح لا بد لنا من المجيء إلى اليوم الذي صلب فيه خارج أسوار المدينة المقدسة. وكنا قد لاحظنا بأن محاكمة المسيح لم تجر بمقتضى الشريعة الموسوية التي كان رؤساء كهنة إسرائيل يخضعون لمبادئها. اتهموا المسيح بتهمة دينية مدعين بأنه له المجد جدف على الله عندما قال عن نفسه بأنه كان ابن الله. ولكنهم نظراً لعدم تمتعهم بالاستقلال لم يكونوا قادرين على تنفيذ حكم الإعدام بالسيد المسيح. فجاؤوا به إلى ممثل رومية وطلبوا منه أن يحكم على المسيح بالموت. لم يقبل بيلاطس تهمتهم الأولى التي كانت ذات صبغة دينية فادعوا بأن المسيح كان ينادي بالثورة على رومية لأنه كان يقول عن نفسه بأنه ملك اليهود. وعندما سمع بيلاطس بهذه التهمة، استجوب المسيح عن هذا الموضوع وفهم بأن الملكوت الذي كان المسيح ينادي به لم يكن ملكوتاً أرضياً أو دنيوياً بل سماوياً. لكن الوالي الروماني كان ضعيفاً ًوخاف من حدوث شغب في القدس نظراً لاقتراب عيد الفصح. فاستسلم بيلاطس لرغبات زعماء اليهود الدينين وأمر بأن يصلب المسيح وأن يطلق سراح مجرم خطير كان اسمه باراباس.

نجابه هنا المعضلة التاريخية الكبرى: كيف سمح الله القدير وهو المسيطر على جميع مقدرات التاريخ بأن يعامل المسيح بهذه الطريقة الشائنة وبأن يقتل على الصليب؟ جاء المسيح من السماء إلى عالمنا هذا ليكفر عن خطايانا وذنوبنا وآثامنا ومعاصينا. ولم يكن موته على الصليب بمثابة فشل خطة الله أو برنامجه لعالمنا هذا. فمع أن كل ما قام به رؤساء الكهنة والكتبة للحصول على قرار إعدام المسيح صلباً كان مخالفاً للشريعة الموسوية وللقانون الروماني فإن الله جعل من هذه الأمور جزءاً لا يتجزأ من برنامجه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لفداء العالم من براثن الشيطان ومن عبودية الخطية. لم تفاجئ حوادث الأسبوع الأخير في سيرة المسيح الله القدير، وكان أنبياء العهد القديم أو النظام القديم قد تنبأوا عنها. وصف الرسول يوحنا ما جرى للسيد المسيح في يوم الجمعة العظيمة:

أما الجند فلما صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام، لكل جندي قسم. وأخذوا القميص أيضاً وكان القميص بدون خياطة منسوجاً كله من فوق إلى أسفل. فقال بعضهم لبعض: لا نشقه بل لنقترع عليه، لمن يكون. ليتم الكتاب الذي قال: اقتسموا ثيابي بينهم وعلى ثوبي ألقوا قرعة. هذا ما فعله الجند.

نلاحظ أن الكتاب المقدس أتى على ذكر تفاصيل الحوادث التي جرت حول الصليب. وهذا يدل بصورة قاطعة أن موضوع صلب المسيح كان معروفاً لدى أنبياء الله في أيام ما قبل الميلاد. لا يعني ذلك أن الذين طلبوا موت المسيح وألحوا على الوالي الروماني بأن يصلب الناصري أصبحوا بلا ذنب. كلا، ما أعنيه هو أن صلب المسيح لم يكن موضوعاً فجائياً جرى بدون أن يكون قد ذكر في أسفار الوحي في أيام ما قبل الميلاد.

لم ينس السيد المسيح له المجد وهو مسمَّر على خشبة الصليب والذي كان يشعر بآلام رهيبة لا تطاق، لم ينس أمه الحنونة بل كما كتب الرسول يوحنا:

وكانت أم يسوع وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية واقفات عند صليبه. فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي يحبه واقفاً بالقرب قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنك! ثم قال للتلميذ: هذه أمك! ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى بيته الخاص.

واستطرد يوحنا الرسول واصفاً لنا ما حدث على خشبة الصليب:

وبعد هذا إذ رأى يسوع أن كل شيء قد كمل فلكي يتم الكتاب قال: أنا عطشان. وكان إناء موضوع هناك مملوءاً خلاً، فوضعوا إسفنجة مملوءة خلاً على زوفا وأدنوها من فمه. فلما أخذ يسوع الخل قال: لقد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح.

حفظت لنا في نص الإنجيل هذه الكلمات ذات الأهمية العظمى. ورأى المسيح يسوع أن كل شيء قد كمل أي أن تدبير الله لفداء العالم قد تم وكان على وشك بأن يصبح جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الأرض المقدسة، بل من تاريخ البشرية جمعاء. فكانت كلمات المسيح الأخيرة قبل موته على الصليب: لقد أكمل! لقد تمت جميع نبوات أسفار العهد القديم عن تدبير الله الخلاصي لصالح البشرية المعذبة. جميع رموز وشعائر العبادة التي كانت تجري في الهيكل المقدس تمت أيضاً في حياة وموت المسيح على الصليب. قال المسيح: لقد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ونتعلم أيضاً من النص الكتابي أن الذين طلبوا موت المسيح على الصليب كانوا متدينين للغاية ولكن تدينهم كان سطحياً. فمن جهة لم يتأخروا عن طلب إعدام إنسان بريء مظهرين بذلك قساوة قلوبهم، ومن جهة أخرى أظهروا تشبثهم بأهداب الشريعة الموسوية:

وإذ كان يوم الاستعداد فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب (أي أجساد المسيح واللصين اللذين صلبا معه) في السبت –فإن ذلك السبت كان يوماً عظيماً- سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا من هناك. فجاء الجند وكسروا ساقي الأول والآخر اللذين صلبا معه. أما يسوع فلما انتهوا إليه ورأوا أنه قد مات، لم يكسروا ساقيه. لكن واحداً من الجند طعن جنبه بحربه فخرج للحال دم وماء (أي أن جسد المسيح كان بالفعل قد أظهر دلائل الموت). والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لكي تؤمنوا أنتم أيضاً. فإن هذا ما جرى ليتم الكتاب الذي قال: إنه لا يكسر عظم منه. ويقول أيضاً كتاب آخر: سينظرون إلى الذي طعنوه!

ثم إن يوسف الذي من الرامة وهو تلميذ ليسوع ولكن خفية خوفاً من اليهود، طلب إلى بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع. فأذن له بيلاطس. فجاء وأخذ جسده. وأقبل أيضاً نيقوديمس الذي كان قد جاء إلى يسوع ليلاً أول مرة، وأحضر مزيجاً من المر والعود نحو مئة رطل. فأخذا جسد يسوع ولفاه في لفائف كتان مع الأطياب على حسب عادة اليهود في الدفن. وكان الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط. وإذ كان هذا يوم استعداد اليهود وكان القبر قريباً، وضعا يسوع هناك.

وهكذا فإننا عندما نتأمل في سيرة السيد المسيح ونصل إلى الأسبوع الأخير من حياته على الأرض نصاب بصدمة هائلة عندما نقف على تسليمه إلى أيدي أعدائه والحكم عليه بالموت من قبل والٍ روماني والمجيء به إلى أكمة الجمجمة خارج أسوار القدس حيث صلب مع مجرمين. وتزداد حيرتنا عندا نقرأ في الإنجيل المقدس بأن المسيح مات على الصليب وأنه دفن في قبر منحوت كان قريباً من مكان الصلب. كيف يمكن لذلك أن يتم والله هو المسيطر على التاريخ؟ أيمكن لمسيح الله أن يموت أو يقتل وهو في عامه الثالث والثلاثين؟

تزداد حيرتنا وتكبر دهشتنا عندما نتأمل في موضوع موت المسيح على الصليب ولكننا إذا وضعنا هذه الحوادث التاريخية ضمن إطار الوحي الإلهي الكامل كما قام بذلك الرسول يوحنا في نص الإنجيل، نرى أن كل ما جرى للمسيح تم بمقتضى علم الله السابق وتدبيره العجيب. مات المسيح عنا مكفِّراً عن خطايانا العديدة، وكان ملماً في جميع أيام حياته بأن الموت ينتظره، أي الموت على الصليب. وكان السيد له المجد قد علَّم في بدء سيرته أهمية موته الكفاري عندما قال لنيقوديمس وهو أحد رجال الدين اليهود الذي كان قد جاء لمقابلته تحت جناح الظلام:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. فإنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. فإن الله لم يرسل الابن إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم. فمن يؤمن به لا يدان ومن لا يؤمن فقد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. آمين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحكم على المسيح

الإنجيل حسب يوحنا ١٩: ١-٢٢

إن تاريخ البشرية حافل بالمحاكمات الصورية التي جرت لبعض الناس والذين حكم عليهم بالموت مع أنهم لم يستحقوا الموت. فمع ن الإنسان يعلم في قرارة قلبه بأنه يخضع لشريعة تعلو على أفكاره وآرائه الخاصة إلا أنه نظراً للخطية المسيطرة عليه، يحاول بكل ما أوتي من قوى عقلية بأن يسخر القانون لمصلحته الذاتية. وهكذا نلاحظ بأن الذين صمموا مسبقاً على التخلص من إنسان بريء، يأتون به إلى محاكمة تظهر شرعية بينما كانوا قد عملوا سراً على إجهاض الحق.

وهذا حدث بالفعل للسيد المسيح عندما قبض عليه أعوان رؤساء الكهنة في القدس. كان هؤلاء الزعماء الدينيون قد صمموا منذ بدء سيرة المسيح العلنية بأن يقضوا عليه قضاء مبرماً، لأنه كان حسب زعمهم، يهدد مركزهم الخاص في مجتمع الأرض المقدسة. وقد سنحت لهم الفرصة الذهبية للقبض على المسيح بدون لفت أنظار أتباعه الأوفياء وذلك عندما صمم يهوذا الإسخريوطي، وهو أحد تلاميذ المسيح، على تسليم سيده إلى أعدائه تحت جناح الليل.

صمم أعداء المسيح على قتله ولكنهم لم يكونوا متمتعين بصلاحية إعدام أي بشري في فلسطين. فقد كانت البلاد المقدسة قد وقعت تحت سيطرة الاستعمار الروماني قبل نحو خمسين عاماً من ميلاد المسيح يسوع.

لم يكن المسيح مجرد نبي بل كما عرَّفنا به الرسول يوحنا في فاتحة الإنجيل:

في البدء كان الكلمة, والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. كان هو في البدء عند الله. كل الأشياء به كوّنت ومن دونه لم يكن شيء مما كوّن. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه .... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجد الابن الوحيد للآب ممتلئاً نعمة وحقاً.

لم يرتكب المسيح أية جريمة ولم يكسر الشريعة الموسوية عندما شهد للحق وبالحق. إنه كلمة الله الأزلي الذي كان في البدء عند الله الآب والذي كان منذ الأبد يتمتع بالألوهية. فهو إن وجد في صورة إنسان فإن ذلك كان من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا تجسد وصار ابن الإنسان ولكنه كان منذ الأزل ابن الله.

اضطرب الوالي الروماني لدى سماعه لكلمات المسيح الذي لم ينكر أنه كان ابن الله. وأفهم الوالي بأن زمام الأمور لم يكن قد أفلت من يد الله القدير الذي كان المسيطر على الموقف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكلما حاول بيلاطس البنطي بأن يطلق سراح المسيح البريء، كلما اشتدت مقاومة زعماء اليهود لهكذا خطة. وإذ علموا علم اليقين بأن تهمة دينية مبنية على تفسيرهم للشريعة الموسوية لم تكن ذات وزن لدى ممثل رومية غيروا تكتيكهم وألصقوا بالمسيح تهمة سياسية! فقال اليهود لبيلاطس: إن أنت أطلقت هذا الإنسان فلست محباً لقيصر، فإن كل من يجعل من نفسه ملكاً يقاوم قيصر!

يا لهم من قوم منافقين! متى صاروا محبي الإمبراطور الروماني وجحافله المستعمرة لبلادهم؟ ومتى انقلبوا إلى متعاونين مع الأجنبي المبغوض من قبل عامة الناس؟ فلما سمع بيلاطس هذا الكلام أخرج يسوع وجلس على كرسي القضاء فقال لليهود متهكماً: ها هو ملككم! فصرخوا: خذه! خذه! اصلبه!وتابع بيلاطس تهكمه على اليهود وعلى السيد المسيح قائلاً: أأصلب ملككم؟ فأجاب رؤساء الكهنة: ليس لنا ملك إلا قيصر! عندئذ أسلمه إليهم ليصلب.

كذب رؤساء الكهنة عندما قالوا: ليس لنا ملك إلا قيصر لأنهم كانوا يمقتون القيصر وممثليه. وأظهر الوالي الروماني ضعفه الهائل عندما استسلم لرغبات هؤلاء الذين كانوا قد باعوا ضمائرهم وأضحوا قاتلي المسيح!

فأخذوا المسيح ومضوا به، فخرج يحمل صليبه إلى الموضع المسمى الجمجمة وبالعبرانية يسمى جلجثة. حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه، من هنا ومن هنا ويسوع في الوسط. وكتب بيلاطس عنواناً ووضعه على الصليب وكان المكتوب فيه: يسوع الناصري ملك اليهود. وقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لأن الموضع الذي صلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة وكان مكتوباً بالعبرانية واللاتينية واليونانية. فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: لا تكتب ملك اليهود بل إن هذا الإنسان قال: أنا ملك اليهود. أجاب بيلاطس: ما كتبت قد كتبت.

لا بد لنا من أن نصاب بدهشة كبيرة إذ نقرأ هذه الكلمات المستقاة من الفصل التاسع عشر من الإنجيل حسب يوحنا. كيف سمح الله القدير لهؤلاء الناس بأن يهينوا المسيح ويحكموا عليه بالإعدام صلباً؟ أهذا ممكن؟ أين العدل؟ أين الاستقامة؟ وإن حاولنا الإجابة على هكذا أسئلة مستعينين فقط بالعقل البشري لن نجد أي حل لهذه المعضلة. ولكننا إذا أصغينا إلى الوحي الإلهي نتعلم أن ما حدث للمسيح في ذلك اليوم الحاسم كان ضمن تدبير وبرنامج الله لخلاص البشرية. فمنذ سقوط الإنسان الأول في حمأة الشر والخطية ابتدأ الله القدير بالكشف عن خطته الخلاصية والفدائية ذاكراً إياها لآدم وحواء وبعد ذلك لنوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من أنبياء تلك الأيام. وعندما نظم الله موضوع العبادة في أيام موسى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

النبي أعطى بني إسرائيل التعليمات الخاصة بنظام الذبائح التي كانت تشير إلى عمل المسيح الفدائي الذي كان سيتم على الصليب.

فصليب المسيح وموته وقيامته من بين الأموات شكل الحجر الأساسي لخبر الإنجيل الذي نادى به رسل المسيح في القرن الأول الميلادي. مثلاً، كتب الرسول بولس لأهل الإيمان في مدينة كورنثوس اليونانية:

إني أعرّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذس بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضاً تخلصون إن حافظتم على الكلام الذي بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً. فإني سلمت إليكم أولاً ما تسلمته أنا أيضاً: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب.

جميعنا نحزن لدى تلاوتنا للنص المتعلق بمحاكمة السيد المسيح. فلقد عومل كمجرم وحكم عليه بالموت صلباً وهو الذي لم يقترف أي ذنب بل عاش حياة طاهرة ومقدسة. لكنه يجدر بنا أن نرضخ لتدبير الله وبرنامجه الفدائي ونحمده لأنه لم يحجم عن إرسال ابنه الوحيد ليموت عنا نحن الخطأة والأثمة وليكفِّر عن معاصينا العديدة. نحن لا نقلل من مسؤولية الذين ارتكبوا هذه الجريمة لكونها قد آلت، حسب التدبير الإلهي، إلى خلاصنا. ما نعنيه هو أن حكمة الله تفوق عقلنا البشري المحدود وأنه تعالى هو الذي عمل لنا خلاصنا عظيماً بواسطة آلام وموت وقيامة المسيح من بين الأموات، آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

محاكمة المسيح

الإنجيل حسب يوحنا ١٨

لقد حدث في أكثر من مناسبة أن حقوق الناس الشرعية مضت نظراً لعدم التشبث بأهداب القانون. وعندما نقرأ صفحات التاريخ نجابه هكذا حالات شاذة ونرى أنفسنا عاجزين عن إصلاح الماضي أو تغييره لأنه صار جزءاً لا يتجزأ من واقع مضى.

ما الذي يدفعنا للشعور بالاشمئزاز تجاه هكذا أمور؟ ليس الجواب بعسير. هناك في قلب كل إنسان شعور قوي يدفعه للدفاع عن ما يطابق الحق ولرفض ما يخالفه. لكنه نظراً لوجود عامل الشر في قلب الإنسان نلاحظ أن هذا الشعور يخضع لضغوط قوية، وإذ ذاك يعمد الإنسان للسير على طريق معوجة تؤول في النهاية إلى إسكات ضميره وكسر الوصية الإلهية التي تتطلب منا أن نعطي الناس حقوقهم التي منحهم إياها الخالق عز وجل.

ولا زلنا ندرس سيرة المسيح كما وردت في الإنجيل حسب يوحنا. ووصلنا إلى الفصل الثامن عشر من الإنجيل حيث سرد لنا الرسول حادثة القبض على المسيح لمحاكمته أولاً أمام رئيس ومن ثم أمام الوالي الروماني بيلاطس البنطي. ومن الجدير أن نلاحظ عدم وجود أي مبرر للحكم على السيد المسيح فهو لم يقم بأي شيء يستوجب اللوم. ومنذ بدء سيرته في الأرض المقدسة اصطدم برؤساء الكهنة وبغيرهم من زعماء إسرائيل الدينيين، فقرروا أن يتخلصوا منه بصورة نهائية. ووقفوا له بالمرصاد منتظرين أول فرصة للمجيء به أمام السلطات الدينية لمعاقبته على كسر الشريعة الموسوية –حسب زعمهم.

ومما يزيد من مأساوية القبض على المسيح ومحاكمته أن أحد تلاميذه خانه وجاء بالجنود للقبض عليه بدون لفت أنظار عامة الناس الذين كانوا ينظرون إليه نظرة المودة والاحترام. وكما ورد في النص الكتابي:

ولما تكلم يسوع بهذا خرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون حيث كان بستان فدخله هو وتلاميذه. وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع، لأن يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيراً. فأخذ يهوذا الفرقة وشرطا من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمصابيح ومشاعل وأسلحة. فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم: من تطلبون؟ فأجابوه: يسوع الناصري. فقال لهم يسوع: أنا هو. وكان يهوذا مسلمه واقفاً أيضاً معهم. فلما قال لهم: أنا هو. ارتدوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضاً: من تطلبون؟ فقالوا يسوع الناصري. أجاب يسوع: قد قلت لكم, أني أنا هو، فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون، ذلك ليتم القول الذي قاله: إنَّ الذين أعطيتني لم أفقد منهم أحداً. وإذ كان مع سمعان بطرس سيف استله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. وكان اسم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العبد ملخس. فقال يسوع لبطرس: رد سيفك إلى غمده. الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟

لا بد أننا نتعجب من موقف المسيح يسوع. لماذا سمح للتلميذ الخائن بأن يأتي بالجموع للقبض عليه؟ ولماذا قبل هكذا معاملة شائنة؟ ألم يكن بوسعه أن يدافع عن نفسه؟ ولماذا وبخ تلميذه بطرس الذي استل سيفه وهب للدفاع عنه؟ وكيف نفسر موقف الله الآب من هذه الأمور؟ كان الله الآب قد أرسل ابنه الوحيد والمدعو أيضاً بكلمة الله، في مهمة خاصة وفريدة أي فداء العالم من براثن الشر والخطية ومن عبودية الشيطان. وكان هذا الفداء سيتم بآلام المسيح يسوع البدلية وموته الكفاري. ولذلك ندعو مرسلية المسيح عملاً خلاصياً صار لجميع الذين يؤمنون به، بغض النظر عن أصلهم وفصلهم.

لم يرغب السيد المسيح بأن يلقى القبض على تلاميذه ولذلك أظهر نفسه للذين كانوا قد أتوا للقبض عليه. ولم يقبل السيد له المجد بأن يدافع عنه التلميذ بطرس بالسيف لأنه كان قد وفد عالمنا لإنقاذنا بواسطة آلامه البدلية وموته الكفاري على الصليب. رد سيفك على غمده، الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟ سمح المسيح يسوع لأعدائه بأن يوثقوه ويقودوه إلى حنَّان الذي كان حما رئيس الكهنة قيافا. يسوع المسيح البار يقتاد كمجرم أمام رئيس كهنة هيكل القدس!

ونصاب بدهشة كبيرة عندما نلاحظ موقف التلميذ بطرس من المسيح. دافع عن سيده بحد السيف وقطع أذن ملخس عبد رئيس الكهنة. وكان قد صرَّح بأنه كان مستعداً لأن يموت في سبيل المسيح. ولكنه ما إن دخل إلى دار رئيس حتى خانته شجاعته وأنكر أمام جارية أنه كان يعرف المسيح الناصري!وكما ورد في الإنجيل:

وكان سمعان بطرس وتلميذ آخر يتبعان يسوع. وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة. فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة. وأما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً. فخرج التلميذ الآخر، الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة، وكلم البوابة، وأدخل بطرس. فقالت الأمة البوابة لبطرس: ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان؟ فقال ذاك: لست أنا. وكان الخدام والشرط واقفين وقد أضرموا جمراً، لأنه كان برد، وكانوا يصطلون. وكان بطرس أيضاً واقفاً يصطلي.

أنكر بطرس ربه أمام امرأة شابة لم تكن قادرة على القيام بأي شيء يهدد مصيره. يا ترى ماذا كانت الدوافع التي أدت إلى هذا الإنكار؟ كيف انقلب الشجاع إلى إنسان يخاف بأن يقر بمعرفته للمسيح يسوع؟ كتب يوحنا الرسول واصفاً ما جرى:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما سمعان بطرس فكان واقفاً يصطلي، فقالوا له: ألست أنت أيضاً من تلاميذه؟ فأنكر هذا وقال: لست أنا. فقال واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب للذي قطع بطرس أذنه: أما رأيتك في البستان معه؟ فأنكر بطرس أيضاً وللحال صاح الديك.

لو اكتفى بطرس بإنكار المسيح يسوع مرة واحدة لقلنا أن شجاعته خانته في لحظة لم يكن هو شاعراً بقدومها. ولكننا عندما نلاحظ تكراره لإنكار مخلصه ثلاث مرات نقول بأن الدافع الرئيسي كان عدم رغبة بطرس في أن يتألم المسيح ويذهب إلى الصليب ليموت عنا نحن البشر مكفراً عن آثامنا وخطايانا.

كان رؤساء الكهنة وغيرهم من زعماء الدين في القدس قد قرروا مسبقاً أن يقتلوا المسيح. ولكنهم أرادوا أن إظهار أنفسهم كالمتعلقين بأهداب القانون والشرعية. فجاؤوا بالمسيح لمحاكمته محاكمة صورية أمام رئيس الكهنة. ونستقي ما يلي من النص الكتابي:

وسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. فأجابه يسوع: لقد كلمت العالم علانية، وعلمت في كل حين في المجامع وفي الهيكل حيث يجتمع كل اليهود، ولم أتكلم بشيء في الخفاء، فلماذا تسألني؟ سل الذين سمعوا عما كلمتهم به، فإن هؤلاء يعرفون ما قلته. فلما قال يسوع هذا لطمه واحد من الشرط كان واقفاً هناك، وقال: أهكذا تجاوب رئيس الكهنة؟ أجابه يسوع إن كنت قد تكلمت بسوء فاشهد على السوء، وإن كان بخير فلماذا تضربني؟

وهنا علينا أن نتذكر أن الإمبراطورية الرومانية كانت قد احتلت البلاد المقدسة في أواسط القرن الأول قبل الميلاد ولم تكن قد منحت اليهود الصلاحية بأن يعدموا أي إنسان. وهذا ما يفسر لنا سبب المجيء بالمسيح إلى دار الولاية الرومانية في القدس. وكما ورد في الإنجيل:

ثم جاؤوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان الصبح (أي صباح يوم الجمعة). ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لئلا يتنجسوا، وإنما كي يأكلوا الفصح. فخرج بيلاطس إليهم وقال: أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟

وعوضاً عن أن يذكروا نوعية الشكوى أو الجرم المزعوم الذي ارتكبه المسيح، أظهروا حقدهم وكراهيتهم للمسيح وعدم تقيدهم بأهداب الشريعة الموسوية وقالوا لبيلاطس:

لو لم يكن فاعل سوء لما سلمناه إليك. فما كان من بيلاطس إلا وأن سار على منطقهم المعوج فقال لهم: خذوه أنتم واحكموا عليه بحسب شريعتكم. فقال له اليهود: لا يجوز لنا أن نقتل أحداً. وكانوا يعنون بذلك أن السلطات المستعمرة للبلاد لم تسمح لهم بأن يعدموا أي إنسان.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

احتار بيلاطس في أمر المسيح وأخذ يبحث في الموضوع من الناحية القانونية الرومانية، وأخذ يتأمل في الشكوى التي جاء بها اليهود وهي أن المسيح قال عن نفسه بأنه ملك.

فدخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له: أأنت ملك اليهود؟ أجاب يسوع: أمن ذاتك تقول هذا أم أن آخرون قالوه لك عني؟ أراد المسيح أن يظهر لبيلاطس الوالي أن معنى عبارة ملك اليهود يختلف فيما إذا فسَّره أعداؤه أو المسيح ذاته.

أجاب بيلاطس: ألعلي أنا يهودي؟ إن أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي فماذا فعلت؟ وهنا شرح المسيح الموضوع بصورة جلية قائلاً: إن مملكتي ليست من هذا العالم، فلو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يحاربون عني كي لا أسلَّم إلى اليهود. أما الآن فإن مملكتي ليست من هنا. فقال له بيلاطس: فهل أنت إذاً ملك؟ أجاب يسوع: أنت قلت أني ملك. فإني لهذا ولدت ولهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحق، وكل من كان من الحق يسمع صوتي. قال له بيلاطس: وما هو الحق؟

لم يكن بيلاطس مهتماً بموضوع الحق. فلما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم: إني لا أجد فيه علة ما، وإن لكم عادة أن أطلق لكم واحداً في الفصح، أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟ تكلم بيلاطس متهكماً بالسيد المسيح عندما قال: ملك اليهود. فصرخوا أيضاً قائلين: ليس هذا بل باراباس، وكان هذا الأخير لصاً ومجرماً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

صلاة رئيس الكهنة

الإنجيل حسب يوحنا ١٧

لقد قطعنا أشواطاً كبيرة في مضمار العلوم وأصبحنا على علم بأمور لم يحلم بها الآباء والأجداد. عالمنا اليوم مليء بالاكتشافات التي لا تعد ولا تحصى. مثلاً هناك التلسكوبات الإلكترونية التي تساعدنا على رؤية الفضاء الخارجي والنجوم العديدة التي لم تكن معروفة في أوائل القرن العشرين. وصار باستطاعة الإنسان أن يغزو سطح القمر ويجول في الفضاء الخارجي ويمضي أياماً عديدة في إحدى المركبات الفضائية الدائرة حول الأرض!

وعلاوة على تقدمنا في مضمار الفضاء والطيران بسرعة الصوت وما فوق تلك السرعة، فلقد أحرزنا انتصارات باهرة في علم الطب والذرة واكتشفنا عويلمات كثيرة لم تعرف في الماضي. وخلاصة القول إن الوجود معقد للغاية ومعرفتنا بكل ما فيه تتزايد باستمرار. وعندما نأتي إلى أمور الله القدير لا يجوز لنا الظن بأننا نستطيع الوقوف عليها كما نعمل في أمور العلوم الطبيعية. نحتاج إلى كشف الله عن ذاته أي إلى وحي إلهي المصدر لنصل إلى معرفة الله. وبالفعل لم يبق الله صامتاً بل تكلم مع بني البشر بواسطة أنبيائه ورسله. وفي الوقت المحدد من قبل الله أرسل المسيح المخلص إلى عالمنا وكشف بصورة تامة ونهائية عن ذاته. وقد حفظ لنا هذا الوحي في كتب أو أسفار العهد الجديد المعروفة باسم الإنجيل.

ولدى دراستنا لفاتحة الإنجيل حسب يوحنا لاحظنا هذا التعليم الجوهري عن أزلية كلمة الله الذي تجسد وصار إنساناً بولادته من العذراء مريم. علينا أن نأخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار عندما ندرس الفصل السابع عشر من الإنجيل. ولقد حفظت لنا فيه نص الصلاة الكهنوتية التي رفعها المسيح قبل موته الكفاري على الصليب. ابتدأ المسيح دعاءه قائلاً لله الآب:

يا أبتاه، قد أتت الساعة فمجِّد ابنك ليمجدك الابن إذ أعطيته السلطان على كل بشر ليعطي الحياة الأبدية لجميع من أعطيتهم له. وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي الوحيد ويسوع المسيح الذي أرسلته. أنا قد مجَّدتك على الأرض إذ أكملت العمل الذي أعطيتني لأعمله. فالآن أيها الآب مجّدني أنت عندك بالمجد الذي كان لي لديك قبل كون العالم.

علّمنا المسيح أن الله الآب أرسله إلى دنيانا للقيام بعمل خلاصي فريد وفعال. فقد وقع الإنسان في قبضة الشرير ولم يعد بمقدوره أن يرضي الله ولا أن يحيا بطريقة متجانسة مع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شريعته المقدسة. صار الإنسان ميتاً من الناحية الروحية وأضحى بحاجة ماسة إلى الحياة الحقيقية والتي دعاها المسيح بالحياة الأبدية. وعرّفها قائلاً:

وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي الوحيد ويسوع المسيح الذي أرسلته.

انتقل المسيح في القسم الثاني من دعائه الكهنوتي إلى الصلاة من أجل تلاميذه الأوفياء. فهم إذ نالوا الحياة الأبدية كانوا سيتعرضون لاضطهادات شديدة. وكان الله سيحفظهم ولم يكن ذلك سيتم بطريقة آلية بل كان عليهم أن يلجأوا إليه بكل قواهم العقلية والروحية ويتكلوا على الروح القدس المعزي. تابع المسيح دعاءه قائلاً:

قد أعلنت اسمك للناس الذين أعطيتهم لي من العالم .... فمن أجلهم أنا أسأل، لا أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتهم لي، لأنهم لك .... ولست أنا بعد في العالم، وأما هم فإنهم في العالم وأنا آتي إليك. لقد أعطيتهم كلمتك وقد أبغضهم العالم لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير. إنهم ليسوا من العالم كما أني لست أنامن العالم. قدسهم في الحق، إن كلمتك هي الحق. كما أرسلتني إلى العالم، أرسلهم أنا أيضاً إلى العالم.

ذكرنا سابقاً أن كلمة عالم كما ترد في الكتاب المقدس وخاصة في الإنجيل حسب يوحنا، لها عدة معان. تعني كلمة عالم الكون أو الوجود أو الخليقة. وأحياناً أخرى تشير هذه الكلمة إلى البشرية بغض النظر عن حالتها الروحية أو الأخلاقية. وفي كثير من الأحيان (كما ترد مثلاً في صلاة المسيح الكهنوتية) تعني كلمة عالم البشرية الساقطة في حمأة الشر والخطية والمنظمة كضد لملكوت الله. وهكذا علينا أن نتأكد من معنى عالم كلما ترد في النص الكتابي. مثلاً قول المسيح: الناس الذين أعطيتهم لي من العالم يعني الناس الذين وهبهم الله الآب للمسيح من البشرية. وعندما قال المسيح: لا اسأل من أجل العالم كان يعني أن دعاءه لم يكن لأجل العالم المعادي لله بل من أجل تلاميذه الأوفياء. وعندما قال: ولست أنا بعد في العالم كان المسيح يشير إلى أنه كان مزمعاً على الانتقال من هذه الدنيا إلى السماء حيث يسكن الله بمجده وبهائه. وعندما ذكر اختلاف تلاميذه الجذري عن البشرية الغارقة في الشر قال: لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. وعندما أراد أن يفهم تلاميذه بأن اختلافهم عن العالم لم يعن الهرب أو الهروب من مسؤوليتهم تجاه البشرية الساقطة قال المسيح في دعائه: لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير. وشدد المسيح على أهمية النضال في سبيل ملكوت الله والابتعاد عن أي لون من الانكماشية أو الانطوائية فقال: كما أرسلتني إلى العالم، أرسلهم أنا أيضاً إلى العالم.

وهذا الموضوع الذي ورد في صلاة المسيح هو من أهم المواضيع التي تجابه المؤمنين والمؤمنات في هذه الحياة. فمن ناحية، علينا ونحن نعيش في هذه الدنيا ألا نتهرب من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مسؤولياتنا للجهاد في سبيل الله والعمل على نشر كلمته الخلاصية في شتى أنحاء المعمورة. لم يأمرنا المسيح بأن نلتجئ إلى الصوامع ونحيا حياة انعزالية بعيدة عن المجتمع البشري. وقد حدث بالفعل في الألفي سنة الماضية أن البعض من أتباع عمدوا إلى الابتعاد عن المجتمع ولكن ذلك لم يكن مبنياً على أمر رباني صدر عن المسيح يسوع أو أمر به رسله الأوفياء. لم يأمرنا الله بأن نبتعد عن عالمه بل أن نعمل فيه ونشهد بمحتويات كلمته المقدسة.

ومن ناحية أخرى علينا أن نقر بأن العديدين من الذين يقولون عن أنفسهم بأنهم من أتباع المسيح يعيشون على نمط حياتي لا يختلف كثيراً عن أسلوب أهل الدنيا الذين لا يؤمنون بالله ولا بمسيحه. ندعو هكذا أسلوب حياتي بالدنيوية أو الدهرية. طلب منا المسيح أن نحيا في العالم، أي أمرنا بألا نتهرب من مسؤولياتنا تجاه المجتمع البشري ولكنه حذرنا في نفس الوقت من خطر الوقوع في خطية الدنيوية والدهرية. يبقى المؤمن في العالم أي في هذه الدنيا وهو يعمل ويجتهد ويدرس ويبيع ويشتري وله مقتنيات كثيرة أو قليلة. لكن المؤمن لا يصبح من العالم أي من أهل الجيل الساقط في عبودية الشيطان ولا يحيا وكأن شريعة الله لم تعد سارية المفعول في أواخر القرن العشرين.

من منا يستطيع الصمود في وجه التجارب الهائلة المنهمرة علينا من كل ناحية؟ من منا يقدر أن يتجاهل المخاطر العديدة التي تحوق بنا؟ ما أكثر الذين واللواتي غرقوا في ملذات هذا العالم الفاني والذين يعيشون وكأنه لا إله ولا يوم حساب ولا نعيم ولا جحيم! وسط جو ملَّبد بالغيوم الروحية وفي ظلام روحي دامس تتخبط في دياجيره الملايين من أبناء البشرية التائهة نسمع كلمات المسيح هذه:

ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي لكلامهم، ليكونوا جميعهم واحداً. فكما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً فينا. حتى يؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن واحد، أنا فيهم وأنت فيَّ، ليكونوا مكمَّلين إلى واحد. حتى يعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني. أيها الآب، إني أريد أن الذين أعطيتني يكونون أيضاً معي حيث أكون أنا ليروا المجد الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم. أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك. وهؤلاء قد عرفوا أنك أنت أرسلتني. وقد عرَّفتهم اسمك وسأعرفهم به، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.

يا من استسلمت للمسيح يسوع وقبلته مخلِّصاً لنفسك، هل تؤمن من أعماق قلبك أن المسيح صلى من أجلك منذ نحو ألفي سنة وهو على وشك تتميم برنامجه الخلاصي؟ وإن كان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح قد صلى ولا يزال يصلي من أجلك ومن أجلي، فلما الخوف من المستقبل المجهول؟ اتكل على المسيح اتكالاً تاماً وعش في ظل محبته الفائقة لك.

ساعدنا الله القدير لكي لا نكتفي بسماع أو قراءة كلمته فقط بل لنعمل بها فنحيا حياة منتصرة ومثمرة ونحن منتظرين عودة المسيح إلى العالم لإظهار ملكوت الله بمجده وعظمته، آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

روح الحق

الإنجيل حسب يوحنا ١٦: ٥-٣٣

إذ نقترب بخطى وئيدة إلى نهاية القرن العشرين نقول بأن الإنسان قد تعلم، بعد مروره بتجارب مريرة وكوارث ذات أبعاد هائلة، أنه لا يستطيع أن يحيا بالخبز وحده. فالحياة البشرية أكثر بكثير من طعام وشراب ومأوى. للإنسان أكثر من بعد مادي، يحتاج الإنسان إلى علاقة روحية سليمة مع ربه وباريه. وهكذا نجابه هذا السؤال المصيري: ما هو السبيل إلى علاقة دينية سليمة مع ربنا وإلهنا ونحن عائشون على هذه الأرض الغارقة في المادية؟

هذه أسئلة منطقية لا بد من الإجابة عليها. فنحن إذ نقر أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. لا بد لنا من مواجهة الطرف الآخر من الحقيقة أي كيفية العيش في علاقة روحية ديناميكية مع الله. ولم يتركنا الله لنقوم بهذا البحث اتكالاً على قوانا الخاصة بل أرسل أنبياءه ورسله منذ فجر التاريخ ليدلونا على الطريق المستقيم. ثم أرسل الله المسيح المخلص إلى دنيانا بمهمة خاصة. عاش المسيح لمدة ثلاث وثلاثين سنة في الأرض المقدسة. وانهمك المسيح بتعليم الناس وقام بالمعجزات والآيات الباهرة لصالح العديدين منهم. فلم تحظ رسالته السماوية بالترحاب بل عانده زعماء الدين في القدس وتآمروا عليه للتخلص منه. ونصل في فصلنا هذا إلى التعاليم الأخيرة التي تفوه بها المسيح قبيل القبض عليه وصلبه وموته وقيامته من بين الأموات.

قال المسيح لتلاميذه الحزانى: أما الآن فإني ماضٍ إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني: أين تمضي؟ ولكن لأني قلت لكم هذا فقد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق، فإني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. وأما إذا انطلقت فإني أرسله إليكم. ومتى جاء هو فإنه يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة. أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على البر فلأني منطلق إلى الآب ولا ترونني بعد، وأما على الدينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين.

كان من الطبيعي لتلاميذ المسيح أن يحزنوا ويكتئبوا لأن سيدهم كان قد أخبرهم عن عودته إلى الله الآب مرسله. حزنوا إلى هكذا درجة حتى أنهم لم يسألوه عن تفاصيل ذهابه إلى السماء. ولم يعن ذلك أنه كان سيتركهم يتامى. كان المسيح سيرسل الروح القدس، الذي دعاه بالمعزي، ليكون مع التلاميذ ومع جماعة الإيمان إلى انقضاء الدهر. فمع أن المسيح كان سيذهب إلى السماء ليكون مع الله الآب، إلا أن حضوره مع المؤمنين به لن يكون أقل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حيوية من حضوره إبان السنين الثلاث التي أمضاها في خدمته العلنية. وكان حضور المسيح سيتم بواسطة الروح القدس الذي يحل على كل من آمن به.

ذكر المسيح أن وظيفة الروح القدس وسط عالم ساقط في الخطية هي أن يبكت الناس على تمسكهم بالمحرمات. وعندما يؤمن الإنسان بالمسيح يسوع أي بالمخلص المرسل من الله، يكون الدافع القوي لذلك الإيمان منبعثاً من الروح القدس. ويتعلم المؤمنون والمؤمنات بأن رئيس هذا العالم (أي العالم المناوئ لله) قد دين، أي أن الشيطان قد حكم عليه من الله وأن مصيره جهنم النار.

ومن الجدير بالذكر أن المسيح لم يكشف عن جميع الأمور المتعلقة بملكوت الله إبان السنين الثلاث التي أمضاها مع تلاميذه. وهكذا أفهم تلاميذه بأن الروح القدس كان سيرشدهم إلى الحق كله. ندعو هذا العمل الخاص للروح القدس بالوحي. أوحى الروح القدس إلى الرسل والبشيرين بمحتويات أسفار العهد الجديد (المعروف أيضاً باسم الإنجيل) فكتبوا ما كتبوه ككلمة الله. والمحك الهام لمعرفة عمل الروح القدس وتمييزه عن الأرواح الأخرى يكمن في أنه يمجد المسيح يسوع في جميع أعماله وشهادته في عقول وقلوب الرسل. وبعبارة أخرى نعلم فيما إذا كان تعليم ما ينطبق على الحق الإلهي فيما إذا كان يطابق تعاليم المسيح يسوع التي كان قد تفوه بها علانية أمام تلاميذه في الأرض المقدسة.

ولكن متى جاء هو، روح الحق، فإنه يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يتكلم من نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما يأتي. كل ما هو للآب هو لي، من أجل هذا قلت أنه يأخذ مما لي ويخبركم.

وهنا نأتي على ذكر خلفية هذا التعليم. بعد أن تعشى المسيح مع تلاميذه للمرة الأخيرة عشاء عيد الفصح أخبرهم عن عزم أعدائه على القبض عليه وتسليمه إلى أيدي المستعمرين الرومان. وكان ذلك سيؤول إلى صلبه وموته على الصليب. فامتلأت قلوبهم بالحزن ولم يستطيعوا أن يفكروا بطريقة سليمة. وهذا دفع المسيح إلى تكرار كلامه عن آلامه وموته وقيامته. بعد قليل لا ترونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأني منطلق إلى الآب.

عندما قال المسيح أولاً: بعد قليل لا ترونني، كان يشير إلى أن أعداءه كانوا سيلقون القبض عليه ويسلمونه إلى الرومان وأنه كان سيحكم عليه بالإعدام صلباً. وعندما قال ثانية: ثم بعد قليل ترونني، كان يشير إلى قيامته من بين الأموات في صباح يوم الأحد وظهوره لهم. لم يفهم التلاميذ هذه الكلمات الربانية فتساءلوا فيما بينهم: ما معنى هذا القليل الذي يتكلم عنه؟ فأجابهم المسيح قائلاً:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أتتساءلون عن هذا فيما بينكم أني قلت: بعد قليل لا ترونني ثم بعد قليل أيضاً ترونني؟ الحق، الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتنوحون والعالم سيفرح، وأنتم ستحزنون ولكن حزنكم سيتحول إلى فرح. المرأة حين تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكنها متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة من أجل الفرح لأنه قد ولد إنسان في العالم. وأنتم لذلك تحزنون الآن ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم، ولن ينزع أحد فرحكم منكم.

من البديهي أن يحزن تلاميذ المسيح لأن سيدهم كان سيعامل كمجرم خطير بينما كان قد وفد إلى عالمنا لتتميم رسالته الخلاصية والفدائية. من الطبيعي أن تمتلئ قلوب التلاميذ كآبة لأنهم كانوا سيخسرون مشاهدة معلمهم وهم قد اعتادوا أن يكونوا بصحبته لمدة ثلاث سنين. فطلب منهم المسيح أن ينظروا إلى المستقبل، إلى أيام ما بعد الصليب. وجه أنظارهم إلى يوم النصر، يوم القيامة المجيد، يوم إعلان فشل واندحار قوى الشر والخطية المعادية لله وللمسيح الظافر.

ما أهم تلك الدقائق الباقية من تلك الليلة الحاسمة! كان أعداء المسيح يتجمعون ويهمون بإلقاء القبض عليه واقتياده إلى بيت رئيس الكهنة ومن ثم إلى دار الولاية الرومانية. أنهى المسيح خدمته العلنية والتعليمية بهذه الكلمات الوداعية ثم رفع دعاءه إلى الله قائلاً:

قد كلمتكم بهذا بأمثال ولكن تأتي الساعة التي لا أكلمكم بعد فيها بأمثال بل أخبركم عن الآب علانية. في ذلك اليوم تطلبون باسمي، ولست أقول أني أسأل الآب من أجلكم، فإن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم بأني خرجت من عند الله. لقد خرجت من الآب وأتيت إلى العالم، وأترك العالم أيضاً وأذهب إلى الآب.

فقال له تلاميذه: ها أنت تتكلم الآن علانية ولا تقول مثلاً ما. الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولا تحتاج إلى أن يسألك أحد ولهذا نؤمن أنك من الله خرجت. أجابهم يسوع: أتؤمنون الآن؟ ها إنها تأتي ساعة، وقد أتت، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي، ولكني لست وحدي لأن الآب معي. قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام، ففي العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا فإني قد غلبت العالم.

لقد بحثنا في تعاليم السيد المسيح التي تفوه بها قبيل انتهاء حياته على الأرض ولاحظنا أهميتها القصوى ليس فقط لمعاصريه بل لنا نحن أيضاً، نحن الذين أعطانا الله أن نحيا في السنين الأخيرة من القرن العشرين. فلقد طغت علينا الأفكار والنظريات الإلحادية والمادية ووقع العديدون من الناس فريسة لها وصاروا يحلمون أن الإنسان يحيا بالخبز وحده. كأنه لا حياة بعد الموت ولا قيامة سعيدة للأبرار ومخيفة للأشرار غير التائبين. لكن الناس لن يعرفوا الحياة السعيدة ولا السلام الحقيقي إلا إذا رجعوا إلى الله تائبين وآمنوا بمن جاء من الله ليخلصنا من الشر العالق بنا. وكم علينا أن نشكر الله الآب الذي يمنحنا روحه القدوس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذي يمكث معنا إلى الأبد. وهو يعزينا في جميع أيام حياتنا ويعطينا أن نحيا بشركة روحية مقدسة مع جميع المؤمنين. من آمن بالمسيح يسوع يختبر حضور الروح القدس في حياته ويذكر كلمات المسيح:

قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام، ففي العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا فإني قد غلبت العالم. آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المضطهدون

الإنجيل حسب يوحنا ١٥: ١٨، ١٦: ٤

اقتبست في الفصل السابق من قول أحد المفكرين المعاصرين بأن القرن العشرين يعد من أقسى القرون التي عرفتها البشرية منذ فجر التاريخ. ويعود هذا التقييم السلبي إلى كثرة الاضطهادات التي لحقت ببني البشر في قرننا هذا وفي مختلف أنحاء العالم. لا يزال العديدين من معاصرينا يقعون فريسة للتعسف واللاإنسانية بدون أن يعلموا السبب الذي جعلهم عرضة للاضطهاد!

لماذا يضطهد البعض من بني البشر أناساً آخرين ويحرمونهم من حقوقهم الشرعية؟ كيف نفسر الأمور المحزنة التي عصفت بالناس في عصرنا الذي سمي بعصر النور والتقدم؟ ما هو الدافع القوي الذي يجعل البعض ينكلون بالآخرين ويعاملونهم وكأنهم ليسوا من أفراد البشرية؟

وإذا نسترسل في طرح هكذا أسئلة نلاحظ أن السيد المسيح، وهو مرسل الله الذي جاء لفدائنا من الشر العالق بنا ومن الخطية المسيطرة علينا، اضطُهِد في جميع أيام حياته والتي انتهت بموته المريع على الصليب. وقد علَّم المسيح تلاميذه قائلاً:

إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم، فلذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلمة التي قلتها لكم: أن ليس عبد أعظم من سيده. فإن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم أيضاً. وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم أيضاً.

لكلمة عالم الواردة في الكتاب المقدس عدة معان. تعني أحياناً الكون أو الأرض أي وجه البسيطة التي يعيش عليها بنو آدم. وأحياناً تشير هذه الكلمة إلى المخلوقات العاقلة أي إلى بني البشر بغض النظر عن حالتهم الروحية أو الأخلاقية. وأحياناً أخرى تكون كلمة عالم مرادفة لقوى الشر المنظمة والمعارضة لله ولمسيحه ولملكوته. وعندما قال المسيح: إن كان العالم يبغضكم كان يشير إلى تلك القوى المنظمة والمعارضة له وللمهمة الفدائية التي أسندها إليه الله الآب. أبغض العالم المسيح وعمله الخلاصي والفدائي ولذلك كان العالم سيبغض تلاميذه الذين كانوا سينادون به. كل من سار على طريق المخلص يضطهد! وقد تحققت كلمات المسيح هذه في أيامه وبعد صعوده إلى السماء. اضطهدت السلطات الدينية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في القدس جميع أتباع المسيح وقتلوا البعض منهم. وتعاظم اضطهاد المؤمنين بالمسيح في سائر أنحاء البلاد المتوسطية لأن الدولة الرومانية كانت تعارض بشدة مبادئ المسيح التحريرية والخلاصية.

فمن سار على طريق المسيح لا يكون ماشياً على طريق مفروش بالورود والرياحين بل يكون قد اختار درب الصليب، طريق الآلام والعذابات والمشقات. هذا لا يعني أن ينشد المؤمن أو المؤمنة الآلام أو الاضطهادات حباً بها، فهما لا يصبحان من جبلة فوق بشرية. ولكن الإنسان الذي يكون قد سلم مقاليد حياته لربه وفاديه المسيح يعلم أن عالمنا هو تحت سيطرة قوى معارضة للمخلص ولذلك فإن مصير المؤمن لن يكون أحسن من مصير فاديه الذي انتهت حياته بالموت على خشبة الصليب!

ولئلا تخور قوى المضطهدين من أتباع المسيح، ذكَّرهم بأنه هو الذي اختارهم من العالم الساقط في حمأة الشر وأعطاهم الصلاحية ليكونوا من أتباعه. ويعود اضطهاد الناس للمسيح وللمؤمنين به إلى تغلغل الخطية في سائر نواحي الحياة. فمع بشاعة هذه الاضطهادات وكونها لا منطقية إلا أنها تعمل كمرآة لنوعية وقوة الشر الكامن في جسم البشرية. وهكذا نخلص إلى القول بأن أكبر كارثة في تاريخ الإنسانية هي رفض العالم للمسيح ولرسالته الخلاصية والإنقاذية التي أتمها لصالح البشرية. وقد وصفها الرسول يوحنا في فاتحة الإنجيل قائلاً:

أما النور الحقيقي، الذي ينير كل إنسان، فكان آتياً إلى العالم. لقد كان في العالم، والعالم به كوِّن، والعالم لم يعرفه.

والعالم لم يعرفه. لم تعن هذه الكلمات بأن العالم لم يكن قد أخبر كفاية عن مجيء المخلص المسيح. لقد سطع نور كلمة الله أي مسيح الله وسط الظلام الدامس المخيم على البشرية ولكن الناس فضلوا الظلمة على النور. واستطرد يوحنا الرسول قائلاً بوحي من الله:

إلى خاصته جاء، ومن كان خاصته لم يقبلوه. ومن هم خاصة المسيح؟ إنهم بنو إسرائيل. كانوا أبناء الذين استلموا الوحي الإلهي منذ أيام موسى كليم الله حتى أيام ملاخي، آخر أنبياء الله في أيام النظام القديم أي أيام ما قبل الميلاد. فالذين كانوا قد تتلمذوا على شريعة موسى وسمعوا كلمات الأنبياء المنادية بقدوم المسيح المنتظر، والذين كانوا قد تعلموا من الشعائر الدينية في هيكل القدس بأنه ليست هناك مغفرة للخطايا بدون سفك دم، هؤلاء الذين كانوا خاصة المسيح رفضوه! واستمر المسيح معلماً وقال:

وإنما سيفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني. لو لم آت وأكلمهم لم تكن لهم خطيئة، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيئتهم. من يبغضني، يبغض أبي أيضاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لو لم أعمل بينهم أعمالاً لم يعملها آخر لما كانت لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي. وذلك لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم: إنهم أبغضوني بلا سبب.

لقد ازدادت فداحة خطية مضطهدي المسيح لأنهم كانوا قد استلموا الوحي الإلهي المدون في أسفار التوراة والأنبياء والمزامير. ثم جاء كلمة الله من السماء وعلَّم الناس لمدة ثلاث سنين وقام بالمعجزات الباهرة من شفاء المرضى وطرد الشياطين من المسكونين منها وإقامة الموتى. علَّم المسيح بكلامه وبمعجزاته ولكن معاصريه لم يقبلوه. ولم يرفضوه فحسب بل رفضوا مرسله أي الله الآب. فانطبق موقفهم الشاذ على ما ورد في سفر المزامير:

إنهم أبغضوني بلا سبب. (المزمور ٣٥: ١٩ و٦٩: ٤)

لم يكتف المسيح بالكلام عن الاضطهادات التي كان سيلاقيها أتباعه بل ذكر أيضاً موضوع مجيء الروح القدس قائلاً:

ومتى جاء المعزي الذي أرسله أنا إليكم من عند الآب، روح الحق الذي ينبثق من عند الآب، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم أنتم معي من الابتداء.

كان تلاميذ المسيح سيلاقون الاضطهاد ولكنهم لن يكونوا وحيدين في هذه الدنيا بل كان روح الله القدوس سيشهد معهم ويعلمهم بأن حياتهم تبقى تحت رحمة الله وأن مصيرهم باهر في النهاية مهما كثرت آلامهم. وعندما يحاول عدو المؤمنين اللدود أي الشيطان أن يشككهم في مصداقية قضيتهم يهبُّ الروح القدس إلى معونتهم ويشهد في قلوبهم بأنهم لن يكونوا من الفاشلين لأنهم كانوا قد سلموا مقاليد حياتهم إلى الرب يسوع المسيح. وكل من يعمل في حقل المخلص يكون قد أظهر تكاتفه وتضامنه مع برنامج الله الخلاصي لهذا العالم.

كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا. فسيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله. وسيفعلون هذا لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني. لكني كلمتكم بهذه الأشياء حتى إذا جاءت ساعتها تذكرون أني قلتها لكم. ولم اقلها من البداءة لأني كنت معكم.

كان تلاميذ المسيح سيتعرضون للاضطهادات بعد موته وقيامته وصعوده إلى السماء. ولن تكون هذه الأمور المحزنة مفاجئة لهم لأن المخلص كان قد أخبرهم عن هذا الأمر. ويمكننا النظر إلى التاريخ القديم والحديث والمعاصر ونقول: لقد تحققت كلمات المسيح في حياة العديدين من المؤمنين والمؤمنات به. لكنه يصعب علينا أن نقبلها شخصياً. فنحن لا نرغب في أن نضطهد ولا نُسر بالعذابات. وفوق ذلك لا نستطيع أن نفهم كيف يقدر الناس أن يضطهدوا أتباع المسيح ويظنوا في نفس الوقت بأنهم يخدمون الله بذلك؟ كيف يخلط البعض

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بين اضطهاد الآخرين وخدمة الله؟ فسَّر السيد المسيح هذا الموقف الشاذ واللامنطقي بقوله: وسيفعلون هذا لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني.

جميعنا نحتاج إلى كلمات السيد المسيح التي تفوه بها قبيل موته على الصليب. ليس سبيل المسيح بسبيل سهل ولا يجوز لنا أن نتصور بأن طريق ملكوت الله هو خالٍ من الصعوبات والمشقات. ينبعث موقف المسيح من أتباعه في شتى العصور والأقاليم من الواقعية ولذلك لم يحجم عن الكلام عن الاضطهادات التي ستلحق بالمؤمنين به. ولكنه لم يكتف بالكلام عن ذلك بل كما سنلاحظ في الفصل التالي، أشار المسيح أيضاً إلى روح الله القدوس الذي يأتي إلى معونتنا ويسير معنا في سائر أيام حياتنا معزياً ومقوياً إيانا في مسيرتنا الحياتية حتى نصل إلى ديار النعيم وننضم إلى المُخَلَّصين والمسبحين لله الآب والابن والروح القدس. لن يكون هناك مجال للشر أو الخوف أو البكاء أو الحزن لأن أعداء الله يكونون في الخارج حيث البكاء وصرير الأسنان، آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الثبات في المسيح

الإنجيل حسب يوحنا ١٥: ١-١٧

لسان حال الكثيرين في هذه الأيام هو: كيف نستطيع أن نحيا حياة متزنة وهادئة في عالم طغت عليه الأفكار والإيديولوجيات الإلحادية المنكرة لله وللقيم الأخلاقية الموروثة عن الآباء والأجداد؟ فمن جهة نعلم أن عالمنا ليس بعالم بارد وقاحل جاء إلى حيز الوجود بصورة تلقائية وعفوية. نؤمن ونقر بالله القدير باري الكون وصانع الإنسان. ونقر أيضاً بأن مصير الإنسان يعلو فوق أفق الحياة الأرضية. ولكننا من ناحية أخرى نجد أنفسنا محاصرين من قبل أفكار وآراء تدعي بأنها علمية ومنطقية وهي تصور لنا عالماً لا علاقة له بالله أو بوحيه المقدس. أين نجد الحقيقة؟ ومن يقودنا إلى طريق الصلاح والفلاح؟

هذه أسئلة حيوية ومصيرية تجابهنا ونحن نسير بخطى وئيدة نحو نهاية القرن العشرين، هذا القرن الذي وصفه أحد المفكرين المعاصرين بأنه كان من أقسى القرون التي عرفتها البشرية منذ فجر التاريخ.

إن رغبنا في الحصول على أجوبة مفيدة علينا أن نصغي إلى كلمات السيد المسيح التي تفوه بها في ساعاته الأخيرة على الأرض. فبعد أن ناشد المسيح المخلص تلاميذه الأوفياء بألا يسمحوا لقلوبهم بأن تضطرب وأن يضعوا ثقتهم التامة في الله ومسيحه، تابع كلامه قائلاً:

أنا الكرمة الحقيقة وأبي الكرَّام. كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه. وكل ما يأتي بثمر ينقيه لكي يأتي بثمر أكثر. أنتم الآن أنقياء بسبب الكلمة التي كلمتكم بها. اثبتوا فيَّ وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يستطيع أن يأتي بثمر بذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. من يثبت فيَّ وأنا فيه فهو يأتي بثمر كثير. فإنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً.

الإيمان بالله وبالمسيح الذي أرسله الله ليكون مخلص العالم لأمر هام للغاية. يجابه المؤمن هذا الموضوع الهام: أنا وقد آمنت بالمسيح المخلص، أنا الإنسان الضعيف والمعرض للتجارب القوية، كيف أستطيع أن أثابر على طريق الإيمان؟ أين أجد القوة الكافية لمتابعة مسيرتي التي ابتدأت بتسليم مقاليد حياتي لمخلصي يسوع المسيح؟ يكمن الجواب في كلمات المسيح الوداعية:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام. كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه وكل ما يأتي بثمر ينقيه لكي يأتي بثمر أكثر.

ليس المؤمن بكائن مستقل يخطط لحياته ولمستقبله طريقاً خاصاً. شبَّه المسيح المؤمن بغصن في كرمة حقيقية والكرمة هي المخلص. إذن كل استقلالية هي مرفوضة مسبقاً لأنها تؤدي في النهاية إلى الانفصال عن المسيح. المبدأ الحياتي الأول هو: المثابرة على مسيرة الإيمان تعني الثبات في علاقتنا الحيوية مع يسوع المسيح. فكما أن غصن الكرمة يبقى حياً ومثمراً ما دام في الكرمة هكذا أيضاً ينمو المؤمن في حياته ما دام يعيش مع ربه وفاديه يسوع المسيح. ليس الإيمان بالمسيح عبارة عن جواز سفر لدخول النعيم والوصول إلى الأبدية السعيدة فقط. يصل الإيمان المؤمن بربه وفاديه في هذه الحياة الدنيا وتثمر حياته بثمار التقوى والصلاح.

كيف يتم هذا والمسيح ليس على الأرض بل في يمين عرش العظمة؟ يشكل الجواب المبدأ الثاني للحياة المسيحية: نثبت في المسيح فيما إذا تشبثنا بكلمته. يتم حضور المسيح معنا بواسطة كلمته التي تعلمنا بمشيئته وتمدنا بقوته الحيوية. وكلمة المسيح هذه كلمة مدونة وهي الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وتابع المسيح كلامه قائلاً:

اثبتوا فيَّ وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يستطيع أن يأتي بثمر بذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. من يثبت فيَّ وأنا فيه فهو يأتي بثمر كثير. فإنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً.

لماذا ردد المسيح هذه الكلمات؟ إنه له المجد عليم بطبيعتنا وبجبلتنا البشرية. نحن نميل إلى الأنانية وحتى بعد أن نكون قد آمنا به واختبرنا قوته التحريرية في قلوبنا، نخال بأننا قادرون على تتميم مسيرتنا بقوانا الخاصة وبحكمتنا الفردية. وإذ أخذ المسيح هذه الأمور بعين الاعتبار قال: فإنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً. تذهب جميع جهودنا أدراج الرياح إن لم نستعن بقوة المسيح الخلاصية. وشدد المسيح على هذا المبدأ الجوهري قائلاً:

إن كان أحد لا يثبت فيَّ يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق.

هذه كلمات قوية اللهجة ولكنها نابعة عن قلب مخلصنا المحب. ولا بد أنك تعلم أيها القارئ العزيز عن الكرمة وأغصانها لتعي كلمات المسيح هذه. ألم تفصل أو تنقي في يوم ما أغصان الكرمة؟ هل لاحظت سرعة جفاف الأغصان المفصولة عن الكرمة؟ ليس هناك نبات ككرمة العنب والتي تجف أغصانها بهذه السرعة الغريبة. وكما يحدث للكرمة أي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لأغصانها المفصولة عنها, هكذا يحدث لمن قال عن نفسه بأنه مؤمن بالمسيح ولكنه لا يعمل على الثبات في ربه ومخلصه وفي الكتاب المقدس.

ولم يكتف المسيح يسوع بالكلام عن مغبة الانفصال عنه بل قال مشجعاً ومعزياً:

إن ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم. بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونوا تلاميذي. يا لها من كلمات رائعة! متى كنا عائشين في المسيح وثابتين في كلمته المنعشة نكون هكذا ملمِّين بالمشيئة الإلهية حتى إن أدعيتنا تصبح ملائمة لهذه المشيئة. وبعبارة أخرى، تضحي صلواتنا مركزة على تمجيد الله وعلى خير ومنفعة أقربائنا بني البشر. نطلب من الله فيستجيب إلى صلواتنا لأننا نعيش في جو روحي وسماوي.

يتم الثبات في المسيح بالتشبث بكلام المسيح. ما هو رباط هذا الثبات؟ المحبة، محبة المسيح لنا ومحبتنا له. وليست المحبة حسب مفهومها الكتابي بموضوع عاطفي محض، بل تشمل جميع نواحي الشخصية البشرية. وكما قال المسيح:

كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا، فاثبتوا في محبتي. كما أني حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته. كلمتكم بهذا لكي يكون فرحي فيكم ويكون فرحكم كاملاً.

فكما أن محبة الله الآب للمسيح يسوع هي محبة أبدية، هكذا أيضاً محبة المسيح لنا هي محبة أبدية، إنها لا تعرف حدوداً. هذه هي المحبة التي جعلت موضوع خلاصنا موضوعاً تحقق وتم في ملء الزمن أي حسب التوقيت الإلهي وفي صلب الأرض المقدسة، أي عندما مات المسيح عن خطايانا وقام من بين الأموات في صباح الأحد المجيد. ربط المسيح المحبة بحفظ وصايا الله: كما أني حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته، إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي.

ومع وجود أمور عقائدية هامة في محتويات الإيمان المسيحي والتي صيغت عبر العصور من قبل جماعة الإيمان في ما يعرف بقوانين الإيمان، إلا أن المسيحية الحقَّة هي أكثر من مجرد الإقرار العقلي بالعقيدة الكتابية. وكثيراً ما نلاحظ ونحن نقوم بدراسة التاريخ أن الكثيرين من الذين قالوا عن أنفسهم أنهم من أتباع المسيح لم يظهروا ذلك في حياتهم وفي معاملاتهم لأقرانهم بني البشر. العقيدة الصحيحة المبنية على الوحي الإلهي هامة للغاية ولكنها لا تكون قد قامت بدورها الفعال إن لم تقترن بالمحبة في حياة معتنقها.

وتابع المسيح يسوع كلامه عن أهمية المحبة في حياة المؤمنين والمؤمنات قائلاً:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذه هي وصيتي: أن يحب بعضكم بعضاً كما أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا: أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائه. أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيتكم به. لا أسميكم عبيداً بعد، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده. لكني سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي. ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم لكي يعطيكم الآب كل ما تسألونه باسمي. بهذا أوصيتكم أن يحب بعضكم بعضاً.

لقد أحبنا المسيح محبة أبدية. أحبنا حتى النهاية، إلى درجة أنه وهو البار القدوس، بذل نفسه عنا. مات المسيح كبديل عنا، نحن الخطاة، الأثمة، العصاة، نحن الذين كسرنا وصايا الله بالفكر والقول والفعل. مات المسيح للتكفير عن آثامنا. أهناك محبة أعظم من محبة المسيح لنا؟ وكما أحبنا المسيح علينا أن نحب بعضنا البعض. أهذا هدف خيالي، يوتوبي، طوباوي؟ من يستطيع القيام بما قام به المسيح؟ الجواب ليس هناك بشري يستطيع أن يقوم بما يطلبه المسيح منا وذلك فيما إذا اتكلنا على قوانا الخاصة. ولكننا إذا ما ثبتنا في المسيح وإن كنا نعيش في جو كلمته المحررة، إذ ذاك نستطيع أن نتمم هذه الوصية الربانية.

ومن المفيد أن ننظر إلى أنفسنا كعبيد لله وللمسيح يسوع، لكنه له المجد منحنا مرتبة أعلى من مرتبة العبيد عندما قال: لقد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي. يا لها من عطية عظمى أن ندعى أحباء المسيح! ولئلا نعجب بأنفسنا ذكرنا المسيح أنه هو الذي أخذ المبادرة في علاقته معنا: ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم لكي يعطيكم الآب كل ما تسألونه باسمي. بهذا أوصيتكم أن يحب بعضكم بعضاً. قارئي العزيز، هل آمنت بالمسيح يسوع واتخذته مخلصاً لحياتك؟ إن قمت بهذا الأمر الهام تذكر أنك غصن في الكرمة والكرمة هو المسيح. اثبت فيه وفي كلمته وعش حياة المحبة لله ولسائر أفراد البشرية، آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الطريق والحق والحياة

الإنجيل حسب يوحنا ١٤

يحيق بنا الخوف من كل حدب وصوب. نحن محاطون بمخاطر عديدة لم يعرفها الآباء والأجداد. هناك مثلاً خطر الأسلحة النووية التي باستطاعتها تدمير الأرض بأسرها وجعل الحياة مستحيلة على أرضنا المتصاغرة. وهناك أمراض جنسية تفتك بالمصابين بها وكأنها الطاعون، لا دواء لها ولا شفاء منها. وها إن الجوع يقضي على العديد من الأطفال والكبار في مختلف أنحاء العالم. زد على ذلك أننا صرنا ملمِّين بمشاكل دنيانا بصورة آنية، نظراً لوجود وسائل الإعلام الحديثة. لقد صارت عقولنا مكتظة بالأنباء المزعجة عن طائرات سقطت بركابها فماتوا في لحظة موتاً مريعاً أو عن سفن غرقت بركابها بعد الاصطدام بسفن أخرى. ما أكثر الأمور التي تجلب على جونا الحياتي الخوف والرعب والهلع!

إلى من نلتجئ وإلى أين نذهب هاربين من الخوف؟ أهناك من يساعدنا على التغلب على هذه الحالة النفسية المزعجة؟ أين الدواء الشافي لهذا المرض المزمن؟ إن ذهبنا إلى بني البشر وإلى آرائهم وفلسفاتهم لن نجد الحل لمشكلتنا. نحن بحاجة إلى قوة فوق بشرية للتغلب على الخوف. عنينا اللجوء إلى الله بارينا والمعتني بنا والذي لم يبق صامتاً منذ أن خلقنا. فلقد تكلم الباري مع بني البشر بواسطة أنبيائه ورسله القديسين وأخبرنا عن حالتنا التعيسة التي وصلنا إليها بسبب ثورة آدم وحواء في فجر التاريخ. ولم يكتف الله بإعلامنا عن سقوطنا في المعصية بل وهبنا النبأ السار عن إرسال منقذ جبار لإنقاذنا من وهدة الشر واستعمار الشيطان.

وفي الوقت المعيَّن جاء المخلص المسيح وعاش على أرضنا لمدة ثلاث وثلاثين سنة. وفي آخر أيام حياته خانه أحد تلاميذه المدعو بيهوذا الاسخريوطي. وقبل أن يلقى القبض على السيد المسيح، أعطى تلاميذه تعليمات هامة حفظها لنا الرسول يوحنا في الفصل الرابع عشر من الإنجيل:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لا تضطرب قلوبكم، آمنوا بالله وآمنوا بي أيضاً. شعر التلاميذ بأن الليلة الحاسمة في حياة سيدهم قد أتت وأن المخاطر العديدة كانت تحدق بهم. ها إن زعماء الدين في القدس يتآمرون على التخلص من المسيح وتسليمه إلى أيدي الرومان المستعمرين وكأنه كان يحبذ رفع راية الثورة على إمبراطوريتهم. أخذ التلاميذ يرتعبون من وطأة كل هذه الأمور فناشدهم سيدهم قائلاً لهم: لا تضطرب قلوبكم، آمنوا بالله وآمنوا بي. فمهما اشتدت مقاومة أعداء المسيح ومهما كثرت مؤامراتهم عليه وعلى تلاميذه الأوفياء، يبقى الله المسيطر والمهيمن على جميع مقدرات التاريخ.

وعندما يخاف المؤمنون والمؤمنات يظهرون موقفاً لا منطقياً لأنهم يظنون بأن زمام الأمور قد أفلت من أيدي القدير وكأن قوى الظلام والشر ستنتصر عليهم. هكذا تفكير هو خاطئ من أصله. علينا أن نتسلح بالإيمان بالله وبمسيحه وإذ ذاك لا نعود نسمح لقلوبنا بأن تضطرب أو تخاف من الفشل والانكسار. ولم يكتف المسيح بمناشدة التلاميذ بألا يسمحوا لقلوبهم بأن تضطرب بل أعطاهم رؤية شاملة للحياة المعاشة في ظل الحق الإلهي.

فإن أخذنا الوجود على الأرض وكأنه الكل في الكل وإن انحصر أفق حياتنا بما نقف عليه اتكالاً على حواسنا الخمسة، نكون قد حكمنا على أنفسنا بالفشل الذريع. علينا أن نتسلح بوجهة نظر شاملة وكاملة ومبنية على الحقيقة بأسرها. حياتنا على الأرض هامة ولكنها ليست الكل، لأننا خلقنا لأبدية سعيدة في حضرة الله ونعيمه. على هذا الأساس تابع المسيح كلامه قائلاً:

في بيت أبي منازل كثيرة وإلا لكنت قد قلت لكم. فإني أمضي لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إلي لتكونوا أنتم أيضاً حيث أكون أنا. وأنتم تعرفون الطريق إلى حيث أذهب. قال له توما: يا سيد، إننا لا نعرف أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟ قال له يسوع: أنا هو الطريق والحق والحياة، لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي. لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه.

عندما أظهر توما جهله لموضوع كيفية الوصول إلى نعيم الله، قال له يسوع المسيح: أنا هو الطريق والحق والحياة، لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي. هل لاحظت أيها القارئ العزيز كلمات المسيح هذه؟ ليست الحياة الدنيا الكل في الكل، والوصول إلى نعيم الله يتم بواسطة المسيح الذي هو الطريق إلى الحضرة الإلهية والحق المتجسد الذي يهب الحياة الأبدية لكل من يؤمن به.

كان فيلبس التلميذ قد عاش مع المسيح ثلاث سنين وسمعه يعلم الجموع ويشفي المرضى ويقيم الموتى. ولكنه لم يفهم أن الله كان قد كشف عن ذاته في المسيح الذي هو كلمة الله. ولذلك قال: يا سيد، أرنا الآب وكفانا. فقال له يسوع: أن معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يا فيلبس؟ من رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت: أرنا الآب؟ ألا تؤمن أني في الآب وأن الآب فيَّ؟ الكلام الذي أكلمكم به لا أتكلم به من نفسي ولكن الآب الحالّ فيَّ هو يعمل أعماله؟ صدقوني أني أنا في الآب والآب فيَّ، وإلا فصدقوني من أجل الأعمال نفسها.

يا لها من كلمات رائعة! رغبة فيلبس بأن يكشف الله عن ذاته في وحي خاص كانت في محلها ولكن خطأه كمن في أنه لم ير ذلك الوحي في المسيح يسوع، كلمة الله المتجسد. من رآني فقد رأى الآب. لقد سرَّ الله بأن يكشف عن ذاته في المسيح المخلص. من رفض الإيمان بهذه الحقيقة العظمى يكون قد حرم نفسه من أعظم هبة إلهية. وإن صعب على فيلبس أو أي إنسان آخر قبول كلمات المسيح هذه فلينظر إلى أعمال المسيح الباهرة والتي شهدت للملأ بأنه جاء من الله للقيام بمهمة فريدة ألا وهي إنقاذ البشرية من وهدة الشر والهلاك.

ونظراً لأهمية العمل الذي كان المسيح سيسنده إلى تلاميذه الأوفياء بعد تتميمه لرسالته الخلاصية، لفت أنظارهم إلى المستقبل الباهر الذي كان ينتظرهم وهم ينشرون الأنباء السارة في مختلف بقاع العالم المتوسطي.

الحق الحق أقول لكم: إن من يؤمن بي فإن الأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها، لأني ماض إلى الآب. ومهما سألتم باسمي فإني أفعله لكي يتمجد الآب في الابن. وإن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله.

ومع صراحة كلمات المسيح ظن التلاميذ أن ذهابه عنهم من الناحية الجسدية كان سيترك فراغاً روحياً هائلاً. ولذلك كشف لهم السيد عن موضوع إرسال الله الآب للروح القدس ليمكث معهم وسائر المؤمنين والمؤمنات عبر العصور المتتالية ليقودهم في طريق الحق والحياة:

إن كنتم تحبونني فإنكم تحفظون وصاياي. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليكون معكم إلى الأبد, روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه يمكث معكم ويكون فيكم.

وتابع المسيح يسوع كلامه عن الروح القدس وعمله المنعش في جسد جماعة الإيمان قائلاً:

كلمتكم بهذه الأشياء وأنا مقيم معكم. وأما المعزي، الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء. ويذكركم بجميع ما قلته لكم. السلام أستودعكم، سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترتعب. قد سمعتم أني قلت لكم: أنا ذاهب ثم آتي إليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني ذاهب إلى الآب، فإن الآب أعظم مني وقد أخبرتكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون. لا أكلمكم بعد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كثيراً فإن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء. إنما هذه ليعلم العالم أني أحب الآب وأني أعمل كما أوصاني الآب. قوموا ننطلق من ههنا.

صعب على تلاميذ المسيح أن يتصوروا حياة بدون حضوره فغمرتهم موجة هائلة من الغم. لكن السيد له المجد لفت أنظارهم إلى أنه لم يكن سيتركهم يتامى بل كان الروح القدس سيحل على جماعة الإيمان فيضحي المسيح حاضراً مع المؤمنين والمؤمنات. وبينما انحصرت مناداة المسيح بالإنجيل في تخوم الأرض المقدسة كان تلاميذه الأوفياء، بعد حلول الروح القدس عليهم، سيندفعون برسالة الإنجيل الخلاصية إلى سائر العالم داعين الناس أجمعين للتوبة والإيمان بمن جاء من الله لإنقاذ البشرية من الخطية والدمار.

وبغض النظر عن ضعف رسل المسيح وقلة شأنهم بالسبة إلى بطش وجبروت الإمبراطورية الرومانية التي كانت مسيطرة على العالم القديم انتصرت رسالة الإنجيل التحريرية لأن الروح القدس كان يعمل بقوة على إنقاذ الناس من عبوديتهم للأصنام جاعلاً منهم مؤمنين بالله وبمسيحه المخلِّص.

ولم يقتصر انتشار الإنجيل على تلك العصور القديمة بل لا يزال الخبر المفرح يمتد في كل إقليم وبلد. والمنادون بكلمة الإنجيل لا يتكلون على حكمتهم أو بلاغتهم بل على الروح القدس، الرب المحيي الذي أوحى بالكتاب المقدس والذي ينير عقول وأفئدة الناس ليقبلوا إنجيل خلاصهم. فالمسيح يسوع لا يزال هو الطريق والحق والحياة، ولا يأتي أحد إلى الآب ولن ينعم أحد بالنعيم إلا بواسطة المسيح، آمين.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

 All rights reserved © 2008-2018

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com